أحلام النخيل
عبد العزيز عتيق

أحلام النخيل

عبد العزيز عتيق

يطلب من :
مكتبة مصر

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقي "الفجالة"

إهداء

إلى أول ثغر ابتسم لى . . . فابتسمت له . . !

إلى أول صوت طرق أذنى بترنيمة الطفولة فى المهد . . !

إلى أول يد كشفت الغطاء عن بصرى وقالت :

انظر . . . !

هذه . . . هى السماء والنجوم ، والأنهار والجداول . . !

وتلك . . . هى المروج والحقول ، والشجر والنخيل . . !

وأولئك . . . هم الناس . !

* * *

إلى الروح التى لم تعرف الفضول معى أبدا . . !

إلى النور الذى غمر نفسى وطهرها . . وأطلع فيها أزهار المحبة ، والتسامى . . ، والمروءة ، والاستجابة . . إلى الحق والخير والجمال . . . !

إلى الذات التى كانت كلما وجدتنى مستغرقا بين النخيل فى تأملاتى وخواطرى . . راحت تصلى لله جاهدةً أن يشفينى من الشعر . . !

* * *

إلى الفاضلة « . . . . »

همسةَ حنين وذكرى

ودمعةَ حب ووفاء

واغفرى لى . . . إن عزّ فيك

إلى اليوم الرثاء . . ! !



مقدمة

بقلم
عميد الأدب العربى الأستاذ الكبير
الدكتور طه حسين

هذه جنة من جنات الشعر ، وما أقلها ، بل ما أندرها فى هذه الأيام التى حار فيها شبابنا بين شعر قديم لا يحسنونه ، وبين محاولة لشعر جديد لا يبلغون بها ما ينبغى أن يكون للشعر من أصالة تروع القارئ أو السامع ، وتسحرهما بما تنشئ من صور ، وما تجلو من جمال فى الألفاظ والمعانى والصور ، وسمو الخيال وطموحه وتعمقه للموضوع الذى يريد الشاعر أن يقول فيه !

ولست من الذين يتشددون فى المحافظة على الأوزان والقوافى التى صاغ القدماء عليها شعرهم . ولست من المنكرين على الشاعر أن يكون حرا بأوسع معانى الحرية فيما يؤثر لنفسه من مذهب فى إنشاء الشعر ؛ يلتزم مذهب القدماء إن شاء ، ومذهب أصحاب الموشحات إن أراد ، ويبتكر من المذاهب فى الشعر ما يلائم طبعه وذوقه ومزاجه الفنى .

لا أطلب منه إلا شيئا واحدا ، وهو أن يقرض علىّ شعرا يروقنى ، وتستريح إليه نفسى ، ويأنس إليه طبعى وذوقى . شعرا أحب أن أسمعه وأسمعه وأسمعه ، فلا أجد فى ذلك شيئا من ملالة أو سآمة ، وإنما أراه دائما جديدا يُطرفنى كلما سمعته ؛ كأنى أسمعه لأول مرة مهما يكثر إنشاده أمامى أو قراءته على .

فأصالة الشعر تقتضى هذه الخصلة . وأنت تستطيع أن تجعلها مقياسا تفرق به بين الشعر الجيد الرائع وبين الشعر الفاتر الردىء .

ونحن نقرأ شعر الفحول من العرب ومن أمم أخرى قديمة وحديثة ، فلا نمل

قراءته ، ولا يعرض لنا الزهد فيه . وإنما هو رائع دائما قد غلب الزمان وأحداثه ، وقهر كل ما أتيح لذوق الإنسان من تطور .

فهو قديم بما يمضى عليه من الزمن ، وهو طريف لأصالته وبراعة منشئه فى ابتكار صور لا تبلى ، وفن لا يقدر عليه الزمن .

وإذا استطاع شعراؤنا أن ينشئوا شعرا على هذا النحو فلا عليهم ولا على أن يلزموا سنن القدماء ، أو ينشئوا لأنفسهم ما يلائم أمزجتهم من الفن . لا أريد منهم إلا أن يكون فنهم أصيلا جميلا بأعمق وأبقى ما يكون الجمال .

* * *

وصاحب هذا الديوان يدعونا إلى جنته هذه الرائعة الشائقة ، بل هو لا يدعونا إليها . . لأنه متواضع لا يعتد بنفسه ولا بفنه على أى نحو من الاعتداد .

ولو قد خلى بينه وبين ما يحب لاحتفظ بجنته هذه لنفسه ، يلم بها كلما دعاه طبعه إلى أن يلم بها . وهو لا يدخل دون أن يضيف إليها روعة إلى روعة ، وازدهارا إلى ازدهار .

ولولا الإلحاح عليه والتشدد فى هذا الإلحاح لما عرف الناس أن له شعرا .

ذلك أنه شديد الحياء ، قليل الرضى عن نفسه وعن فنه ، وما ينشئ من شعر أو نثر .

وقلة الرضى هذه هى آية الفن الأصيل حقاً . فالفن طموح دائما ، لا يبلغ منزلة من الجودة إلا طمع فى منزلة أرفع منها ، وسما إليها ريثما يبلغها ، ثم يطمح إلى منزلة أخرى أبعد منها سمواً ، وأرقى منها رقياً .

وهو كذلك ساخط دائما ، طامح إلى الكمال دائما ، لا يطمئن إلى شىء ولا يستريح إلى شىء . وويل لصاحب الفن إن اطمأن أو استراح .

وأنت تدخل هذه الجنة من الشعر فترى فيها أكثر ما ترى جمالا وإشراقا . ويخيل إليك وأنت تستمتع بجمالها وإشراقها أنك قد كنت تجد وتكد وتشق بألوان العناء ، وتحمل أثقالا تشق عليك حتى تضنيك .

وأنت تمضى أمامك متعثراً قد ضاقت عليك الدنيا ، وضاقت عليك نفسك . وإذا هذه الجنة تفجؤك على غير انتظار منك لها أو طمع منك فيها ، فلا تكاد تدخلها حتى تحس كأنك لم تجد ولم تكد ، ولم تشق ، ولم تمضك الأحزان ، ولم تثقلك الأعباء ، وإنما أنت ناعم البال راضى النفس ، قد أنسيت كل شىء إلا ما ترى .

وأنت تطوف فى هذه الحديقة فترى فيها ما شاء الله أن ترى من شجر باسق فى السماء ، وزهر نضر يملأ النفس بهجة ورضى . وربما مررت بمكان موحش قاتم جدير أن تعرض عنه ، ولكنك مع ذلك تقبل عليه : لأنك تحس أنه يصور إنسانا قد شقى كما كنت تشقى ، واحتمل أعباء ثقالا أثقل من أعبائك تلك التى كنت تحملها والتى كانت تنوء بك .

وأنت ترثى لهذه النفس اليائسة البائسة التى أمضتها الخطوب وفرقتها الأحزان فترثى لها وتعطف عليها ، ويجد قلبك شيئا من رحمة . ولكنك لا ترثى لأحد ، ولا ترق لإنسان ، وإنما ترثى لنفسك وترق لها وترحمها من طول ماشقيت بأحداث الزمان ، ومن ثقل ما احتملت من أعبائه .

وقد تمر هنا أو هناك بزهرة قد مسها الذبول أو كاد ، فلا عليك من هذا الذبول . وأى جنة تستطيع أن تعصم كل أزهارها من عبث الزمان ، أو يستطيع صاحبها أن يعصمها من هذه الأحداث ؟

وأنت واجد فى هذه الجنة فنونا من الجمال : منها ما يعنف بك ويشق عليك حين يثور الشاعر بما فى حياة البيئة التى يعيش فيها من آفات وآثام .

فشاعرنا ساخط على الأجنبى حين كان يحتل الوطن ويسيطر عليه ويستأثر بمنافعه . وساخط على المسرفين فى الثراء المستأثرين بطيبات الحياة دون كثرة الشعب التى تشقى بآفاتها الثلاث : الجهل والبؤس والمرض .

وهو ساخط أحيانا على كثرة هذا الشعب لأنها تذعن لسلطان الأجنبى ، وتخضع لاستغلال المستغلين ، ولا تثور لتظفر بحريتها ، ولا تغضب لحقوقها المهضومة ، وإنما هى قانعة لما فرض عليها من شقاء .

وشاعرنا من أجل ذلك مبتهج كل الابتهاج ، راض كل الرضى حين ثار الشعب بالإنجليز ، متعرضا فى سبيل حريته لألوان الأذى وضروب المحن ، لا يحفل بذلك ولا يأبه له ؛ لأنه قد عرف نفسه واندفع يطالب بكرامتها ، وعرف حقوقه واندفع يطالب بردها عليه .

وشاعرنا فى هذه الظروف يرسل خياله على سجيته ، فيهيم فى هذا الخيال إلى أبعد مدى . وإذا هو يصور لنا انتصار القائد وعودته إلى الوطن مظفرا ، ومن ورائه الأسطول الذى كبح جماح العدو ونكل به تنكيلا .

* * *

وشاعرنا بعد هذا كله هائم بجمال الطبيعة ، يصفها كما لم يصفها شاعر عربى حديث . وهو محب لظل النخيل ، بارع فى وصف الرياض ، رائع حين يصف البحر هادئا ومائجا .

والطبيعة عنده حية دائما ، قوية دائما ، تمتع بجمالها ، وتمتع بهذا الحب الذى يشيع فيها . فهو لا يستظل بالنخيل إلا مع حبيب أو ذكرى حبيب وشوق إليه .

وهو لا يلم بساحل البحر إلا أرسل نفسه على سجيتها ، فأحب البحر هائجا مائجا ، وأحبه هادئا مطمئنا ، ونعم بهذا الجمال الذى يمرح على الساحل فنون المرح . وربما أقله مع حبيبته زورق يسعى على هذا البحر الهادئ المطمئن الذى يفتن باتساع أفقه ، وانطلاق النفس حرة إلى غير غاية ، واستمتاعها بالنعيم حرة إلى غير حد .

وشاعرنا عاشق لغناء الطير ، يجد فيه روحا لنفسه ، وشفاء لقلبه من آلام البعد والهجر ولوعة الشوق وحرقة الفراق .

* * *

وأبرع ما يكون شاعرنا حين يصف جمال الطبيعة المصرية التى يشيع حبها فى النفس والقلب فيملؤهما حنانا ورضى وأملا .

وفنه فى كل ما طرق من الموضوعات حر طليق ، يألف التزام الوزن

والقافية كما كان القدماء يفعلون . ويألف التحرر من قيود القافية فيتنقل بين القوافى فى غير مشقة ولا عناء ولا تكلف .

وأنت تنتقل معه بين هذه القوافى والأوزان التى تطول حينا وتقصر حينا، وتخف مرة وتعنف أخرى دون أن تجد فى ذلك إلا راحة ودعة ورضى .

وكذلك يمضى الشاعر فى ديوانه كله على اختلاف فنونه ، لا تحس فيه صنعة ، ولا تجد فيه مشقة ، وإنما تسيغه للقراءة الأولى فيملأ نفسك جمالا وسحرا .

وأشهد أنى قد قرأته مرات فلم أشعر بأنى قد قرأت شيئا كنت قد قرأته من قبل ، وإنما شعرت دائما بالجدة والطرافة وخفة الروح ، وعذوبة الشعر .

وما أشك فى أنى سأقرؤه إن شاء الله وأقرؤه ، وأستمتع بقراءاته كلها ، كما استمتعت بقراءته من قبل .

وأنا أتمنى على الشاعر ألا يزهد فى فنه أو يعرض عنه ، مهما تكن الأحداث والخطوب والظروف : فشعره لا يحسن إليه وحده ، وإنما يحسن إلى قرائه جميعا ؟

طه حسين

تصدير

الاعتراف بالجميل يستأديني فى مستهل هذه الكلمة أن أزجى أصدق الشكر إلى أستاذنا الكبير الدكتور طه حسين .

فعندما أعددت هذا الديوان للطبع ، سألته عما إذا كان وقته يتسع لإلقاء نظرة عليه . وعلى الرغم من نشاطه العلمى والأدبى الذى يكاد يستبد بكل وقته ، لم أجد منه إلا كل ترحيب .

ثم كانت المفاجأة . . . المفاجأة السعيدة لى ! فأستاذنا الكبير لم يلق نظرة على الديوان فحسب . وإنما قرأه ، ثم تفضل مشكورا بتدوين انطباعاته عنه فى تلك المقدمة القيمة التى أثبتها فى صدر الديوان معتزا بها .

وليست هذه أولى أياديه علىّ ، فالواقع أنى مدين لأستاذنا الدكتور طه حسين بأفضال وعوارف كثيرة . وحسبى أنه هو الذى التقطنى من غمار الحياة كما التقط كثيرين غيرى ، وأتاح لهم ولى فرصة الاستزادة من العلم والمعرفة .

وإنى لأنتهز هذه المناسبة فأعرب له عن مدى حبى وتقديرى واعترافى بما أسدى إلىّ من فضل لا يزال متصلا سابغا . ولا عجب . . . فهو كما أوحى إلىّ الشعر فيه :

أَرْيَحِىٌّ عـلّم النـاسَ
. . فنـونَ الأَرْيَحِـيَّةْ ؟

* * *

ثم أنتقل إلى الديوان . . .

ومن قبل ظهر لى ديوانان : « ديوان عتيق » و « أحلام النخيل » . صدر الأول فى مستهل عام ١٩٣٢ ، والثانى فى مستهل عام ١٩٣٥ ، وكلاهما نفدت طبعته منذ سنوات .

ويسعدنى أن أقدم اليوم إلى القراء الجزء الثانى من « أحلام النخيل » . وهذا الديوان الجديد يضم ما أمكن نشره مما نظمت من شعر بعد عام ١٩٣٥ . وقد أضفت إلى ذلك مختارات من « ديوان عتيق » ومن الجزء الأول من « أحلام النخيل » ؛ ليستطيع من شاء أن يتتبع أسلوب الشاعر وتجاربه ومجالات فنه على اختلاف مراحل عمره الشعرى ، وأن يخرج بصورة متكاملة عن ذلك .

* * *

وكدت أن أسمى هذا الديوان الجديد « بين الضجيج » ، لأنى نظمت شعره بين ضجيج الحياة وصخبها ! ثم كدت أن أسميه « روضة الشعر » كما اقترح أستاذنا الدكتور طه حسين بعد قراءته له .

وأخيرا رأيتنى مندفعا لاشعوريا إلى تسميته « أحلام النخيل » كسابقه . فما سر الإصرار اللاشعورى على هذه التسمية ؟

لعل ذلك للدور الذى كان النخيل ، ولا يزال ، يلعبه فى حياة الشاعر الفنية . فأحلام النخيل ليس اسما عصريا مبتكرا ، وإنما هو اسم أوحى النخيل به إلى الشاعر فيما أوحى .

وقصة ذلك أن فى قرية الشاعر روضا باهرا من النخيل ، لعله كان بأشجاره السامقة المشرئبة إلى السماء أول تعبير جميل من تعابير الأرض تفتحت عيناه عليه !

فى كنف هذا النخيل المتوج الممشوق درج الشاعر طفلا وصبيا وشابا ، فامتلأت نفسه به ، واصطبغ خياله بظلاله ! أجل كان هذا الروض النخيلى ملعب حداثته ومستودع ذكرياته : يغيب عنه ما يغيب فتظل صورة النخيل ماثلة أمامه فى كل مشهد ، وتظل همساته وظلاله وأطيافه سارية فى أطواء نفسه . . .

وكان كلما زار قريته أسرع إليه دون غيره مشوقا مفتونا ، وإن قلبه ليكاد يقفز من مكانه ليعانق النخيل جملة وتفصيلا . . . !

ثم لا يكاد يخطو فى مسالكه ، ويتلفت يمينا وشمالا حتى تنثال على خاطره ذكريات الطفولة والشباب ، وأحلام الطفولة والشباب ! وإذا النخيل يستوعبه

ويستغرقه ثم يملى عليه ! فهو إن لم ينظم تحت كل نخلة قصيدة ، فقد نظم جزءا من قصيدة أو فكر تفكيرا شعريا على الأقل . . . !

وكم من مرة اختلف الشاعر إلى روضه النخيلى فاقد النفس ، شارد الخيال ! وكم من مرة أوى إليه وفى نفسه عتب على الحياة والناس ! وما هو إلا أن يستروح نسائمه ويتفيأ ظلاله ، ويصغى إلى شدو طيوره وخرير مياهه ، حتى يجد فيه نفسه ويواتيه خياله !

ثم إذا هو يترنم بألحان جديدة ! وكأنى بكل قصيدة نظمها فى ظلال الروض وتحت سمائه حلم من أحلام النخيل المتصوف همس إليه به فترجمه إلى الحياة والناس شعرا . . . !

حتى فى غربة الشاعر فى الخارج . . . كان هذا النخيل لا يكاد يبارح مخيلته أو يغيب عن عينيه ! وما أكثر ما كان يفزع إليه بخياله ، فيعيش فيه ، ويستلهمه ويستوحيه . . . !

* * *

وبعد . . . فلم يبق إلا أن أخلى بين القراء وبين الجزء الثانى من « أحلام النخيل » ؛ ففيه غنيت لهم ولنفسى على أوتار مختلفة . فإن لم يجدوا فيه جديدا ... فحسبى أنى قد غنيت لنفسى بأشجانها ومواجعها ، وأشواقها وأحلامها . . . ! !

القاهرة : ٩ يناير ١٩٦٠ — عبد العزيز عتيق





اليـــوم المنتظر . . .

« أيها الأشبال . . .
حينما يأتى هـذا اليوم
وهو آت لا محالة فاذكرونى ... ! »

فـكرة هذه القصيدة فـكرة مثالية . .

إنها ترمى إلى تصوير الأشواق الوطنية الحبيسة ، و إثارة العزة القومية ، وتمجيد البطولة ، وتحبيبها إلى النفوس . كذلك ترمى إلى نقل المستحيل إلى درجة الإمكان ، وانطلاق البشرية المعـذبة من قيود العبودية لحظة . . . للتمتع بأفراح الحرية وأعيادها . . . .

هى تصوير اليوم المنتظر لـكل أمة مُنيتْ بالاستعمار . . .

على ضوئه ترى كيف يـكون النصر والتحرر فى مقدورها وطاقتها . . . إذا توفّرت على استكمال كلّ ما ينقصها من مظاهر القوة ، وأسباب الحياة . . . .

و إلى موسيقى بلدية ميت غمر يرجع الفضل فى ميلاد هذه الفكرة الشعرية . . .

كان ذلك صبيحة أحد أيام الخريف عام ١٩٣٠ . فبينما كنت أسير فى شارع البحر مستغرقا فى جمـال الطبيعة من حولى ، طرقت أذنىّ ألحانٌ عذبة مؤثرة . وتلفتُّ . فإذا موسيقى البلديةِ أمامى تسير عازفة . . . . .

وقد استخفتنى هذه الألحانُ ممتزجةً بمعانى الطبيعة النابضة فى الريف . فرُحت أتبعها حتى نهاية شوطها . . . وكنت من شدة التأثر أسأل نفسى فى أسف عميق :

متى نرى الموسيقى المصرية تعزف أمام الجيش ، وقد عاد منتصرا . . ؟

متى نراها تطوف أمامه الشوارع ، والشعب محتشد على الجانبين ، يحيي ويهتف ، وينثر الورود فى طريق القائد والجنود . . . ؟

متى تُبصر أعينُنا أعلامَ الحرية مرفوعة ، وأفراحها منصوبة . . ؟

* * *

ثم شاءت السوانحُ السعيدة بعد إتمام دراستى ، أن أعمل فى مدينة ميت غمر ، وأن أُمضى بها أعواما ثلاثة ، مرت بى كالأحلام فى سرعتها وعجائب مشاهدها . .

فى هذه الأعوام السعيدة كنت لا أكاد أرى هذه الموسيقى حتى أخف لسماعها والسير فى صحبتها ، فلا تزداد الفكرة القديمة عندى إلاّ تشعّباً ووضوحا . . .

ثم أخذت الفكرة بعد اكتمالها تُلِحّ علىّ فى تصويرها ، ولهذا نظمت القصيدة التالية صيف عام ١٩٣٥ فى أربع جلسات متعاقبات تحت ظلال النخيل فى قريتنا . .

فإلى فرقة موسيقى البلدية بميت غمر . . . أهدى هذه القصيدة ، اعترافا بأثرها فيها ، وذكرى للأيام الذهبية التى قضيتها بين أكناف مدينة ميت غمر ، وتحت سمائها الضحوك . . . !

١

« الجماهير محتشدة فى ميدان واسع أمام دار إحدى الجرائد اليومية انتظارا لأخبار المعركة الفاصلة ، وقد غشى الواقفين الفزع »

نَفَر القومُ فى الظَّهيرة والحـــرِّ جُموعاً تَستطلع الأخبـــارَا

نَفَر القومُ فى المدينة كالسَّيـ ـل أُلوفاً ، تـكاد تَفْنَى انتظارا

نَفَر القـــومُ للجرائد حتى مَلئُوا دُورَها ، وزادوا انتشارا

وقفوا عندها — كما يقف المَظْـ ـلومُ فى ساحة القضاء — حَيارَى!

مِن رجالٍ ، وفِتيةٍ ، وشبابٍ وكهولٍ ، ونِسوةٍ ، وعَذارى

لا ترى غيرَ أعيُنٍ شاخصات ووجوهٍ قد ارتدين اصفرارا

وكأنَّ الذهولَ غشَّى عليهم وكأنَّ الفنـــاءَ يمشى جهارا

لحظةٌ أبطأَتْ ودوَّى نداءٌ : أبشروا .. إننا انتصرنا انتصارا!

لحظةٌ بعـــدها تحرر شعبٌ واستحق الحيـــاة والإكبارا

فإذا بالفنـــاء عاد حيـــاةً وإذا بالسكون أضحى انفجارا

الزغاريدُ ، والهتافُ بيوم النـ ـصر ، والرقصُ والعناقُ ابتدارا

ودوىُّ المـدافع الصاعدُ الجوَّ وخُضرُ الأعلام تعلو الديارا

آيةٌ للخلاص من رِبقة الأسـ ـرِ ورمزٌ لما كسَبنا اقتدارا

٢

استقبال الأساطيل

رَحَّب الشاطئُ بالمُسْتقبلينْ   حينما خفُّوا إليه مسرعينْ
نزلوا فى ظله واحتشَدوا   أُمماً تستقبل الفتح المبين
أمما لم تَطعَمِ النصر ، ولم   تستسغه منذ آلاف السنين
ودموعُ النشوة الكبرى جرَتْ   حينما لاحت على البعد السفين
تَخْرُ اليمَّ ، وفى أجفانها   نَشوةُ النصر ، تَبدَّت للعيون
تَمخر اليم ، وفى خطرتها   أثرُ الإعياء ، يخفَى ويَبين
تَمخر اليم ، فيحدو رَكْبَها   أملُ الشعب وجبريلُ الأمين
وإذا الأعلامُ فيها خَفقتْ   خفق القلبُ لها خفقَ الحنين
هلّل الميناء لما عانقت   موجَه الراقصَ ، مثلَ الراقصين
فإذا الشطآنُ مادت طرباً   وإذا الناسُ عليها يهتفون
وإذا البحرُ جَوارٍ خرجت   تحمل الشعبَ ، يُحيِّي الظافرين

***

أيها المرتابُ فيما سمعت   أُذناك الآن ، دع عنك الظنون
هل رأيتَ الحشر يطغَى سيلُه   أو رأيت الناس فيه يَنسِلون ؟
أين يومُ الحشر مِن هذا الذى   قد بَنَى الآباءُ فيه للبنين ؟ !

٣

فى نزول القائد والجيش

مرحباً بالقـــائد المنتصرِ مرحباً بالجيش ربِّ الظفَرِ
انزلوا الوادى وحَيُّوا وطنـاً قد درأتم عنـــه سيلَ الخطر
ليس ينسى ما أتيتم أبداً من كفاحٍ فوق ذرع البشر
قد رفعتم علَم الوادى ، وكم نـكَّستَه قسوةُ المستعمر !
فانعموا اليوم وطيبوا سَـكَناً فى رُبا الوادى البهيج المنظر
فبما نِلتم ضربتم للـــورى مثلا يبقى بقـــاءَ الأَعْصُر !

٤

على جانبى الطريق

وسالت على الجانبين الوفودْ قياماً ترجِّع عذبَ النشـــيدْ
تصفِّق للقـــائد الألمعيّ وتهتف من خلفِـــه للجنود
وترقص فى نشـــوة المستقلّ وتنثر فوق الطريق الورود
وترفـــع بالدعوات الأكُفَّ وتخفِق فوق الرءوس البُنود
ويعبث بالناس عزفُ النُّحاس فتسمع منهم زئيرَ الأسود

وتهتزُّ من صوتها الأرضُ حتى ... تكاد بأوتادها أن تميد
ويطغى السرورُ لمرأى السرور ... فينتثر الدمعُ فوق الخدود

* * *

فيا موكباً لم يُتَحْ للملوك ... ولم يحظ قُطْرٌ به فى الوجود
إلى الخلد سِرْ فى ضمان السماء ... فأنت حَرِىٌّ بهذا الخلود
دفعتَ عن الوطن العاديات ... وذُدْتَ عن الأهل رِقَّ العبيد
فأحييتَ شعبَك بعد المَوات ... وأرضيتَ بين القبور الجدود!

٥

صلاة القائد

حبَّذا أنتَ يا نسيمَ بلادى ... حبَّذا أنتَ مُنعشاً لفؤادى
حبَّذا الصبحُ فى المُروج ضَحوكا ... والندى حالماً على الأعوادِ
حبَّذا النهرُ وهو مُخْضَوْضِرُ الشطِّ ... وأحببْ بمائه فى اطِّراد
حبَّذا الأهلُ فى المدينة يمشو ... ن، وهم بين رائحٍ أو غاد
كم تمثَّلتُهم رُؤًى فى دُجَى الليـ ... ـل، فكانوا على النوى خيرَ زاد

* * *

يا بلادى: الآن قد وضَح الحقُّ ... ودِنَّا أعداءنا يا بلادى!
كنتِ بالأمس ملجأً مستباحاً ... للكسالى من كل صُقْعٍ ووادِ

كنتِ بالأمس كعبةَ للمصليـ ـن ، فردُوكِ بؤرةً للفسادِ !

كم أثاروا الخلاف ناراً تلظَّى بين أبنائكِ الضِّعافِ الشِّدادِ

كم ليال بِتنا على الضَّيم فيها وطِعِمنا الأسى ، وشوكَ القتاد

كم أُسودٍ ضحَّوْا بهم ، كم نفوسٍ أسلموها إلى يد الجـــلاد

رُبَّ أمرٍ لخـيرنا حبسونا عنه كَرهاً ، في قسوة واضطهاد

وشعاعٍ من الرجاء تبـدَّى فأحالوه قطعةً من ســـواد

كلما ساغ مَوْرِدٌ بعد يأسٍ زاحمونا عليه ، مثلَ الجراد !

* * *

وتجلتْ عنـــايةُ الله للشعـ ـب فهبَّتْ بطولةُ الأمجـاد

فإذا بالجيوش تزحف كالليـ ـل وتَغشى منازلَ الآســاد

فأرينْا الأعـــداءَ ما لم يرَوه أبداً من بســـالة وجلاد

وانتزعنا النصرَ المبينَ اقتدارا وتركنا فُلولَهم للبوادى !

* * *

يا بلادى : اليوم فاستقبلى النو رَ ، وعيشى طليقةً ، يا بلادى

لم يَعدُ فيكِ مأملٌ للأُلى كا نوا يعيشون عيشةَ الأوغاد

لم يَعدُ فيك مأربٌ للأُلى كا نوا يظنون أننا كالجماد

فانعمى اليوم بالسيادة ، وامضى   فى طريق الآباء والأجـــداد
فلكِ المُلْكُ فائقا كل مُلك   ولكِ الأمرُ نافذاً فى العبـاد
لك حُبِّى على المدى وصِلاتى   لك سمعى ، وعُدَّتى وعَتادى

٦

أيها المصريون

ليس هذا اليومُ إلا يومَكم   فى خيال الشـاعر المرتجلِ
فاجمعوا الأمرَ ، ونادوا قومَكم   واخلعوا عنكم رِداءَ الكسلِ

* * *

ذلك القائدُ رمزٌ ومثـــالْ   للذى يظهر منكم فى غدِ
فلتكونوه جميعاً يا رجالْ   ليرى التـاريخُ ما لم يشهدِ

* * *

ليس بين الشعبِ والمجدِ سوى   أن تَشُبُّوها لظًى تستعرُ
ثورةٌ فى ظِلِّها الأمنُ انطوى   فإذا الشعبُ بهـا ينتصرُ !

* * *

قد سئمنا العيشَ فى جوف الظلامْ   فإلى النور اقصدوا كى نستفيقْ
وانسَوْا الأحقادَ ، وادعوا للوئامْ   مَن يُطيق العيش ذُلَّا؟ مَن يُطيقْ؟

* * *

كلما سِرْتُ فأبصرتُ الدخيلْ نافذَ السلطانِ ، يدعو فيجابْ !
جاشتِ النفسُ، وغشَّانى الذهولْ وسرى الخزىُ لقلبى كالحِرابْ ! !

* * *

لا تقولوا : الموت ، فالموتُ حياةْ للذى يغضب يوماً لبلاده
والذى إن راح يَرْميها الرُماةْ يتلق الطعنَ عنها فى فؤاده

* * *

يا بلادى ، لكِ عزمى أيَّدَا وجهادى بين شِقَّىْ قلمى . .
يا بلادى ، لن تهونى أبدا أنا أُفديكِ بروحى ودمى !

إلى الغــــرب*

أيها الغرب عذِّب الشرقَ عذبْ أضرمِ النــارَ بيننا والدخانا
وتحكَّمْ فى أهله وتجـــبَّرْ وتفننْ فى قهـــره طغيانا
واحشُدِ البرَ والبحار جنوداً وإذا اسطعتَ ، فاملأ الجو جانا
ليس تهديدُكم لنا بمخيف لا ، ولا عسفُكم لنا أوهانا
إنه الحقُّ ، سوف ندفع عنه كلَّ باغٍ يســـومُه العُدوانا

* * *

أيهــا المستقلُّ دعنى وشأنى واقصُرِ اللوم ، إن قدرت ، الآنا
أيهـــا المستقل أنت طليقٌ لا تبـــالى بكائن مَن كانا
لا تلُمــنى إذا غضبت لحقى ما ألفنا الإنسان يبقى مُهانا
أيهـــا المستقلُّ حسبُك ألّا تصحبَ الذلَّ أو تذوقَ الهوانا

---

* القاهرة : عام ١٩٣٠ .

الغرب والشرق*

قلْ لهذا الغربِ : يا غربُ إلاما ... تعشَق الجورَ وتهوَي الانقساما ؟

كم بزيف القول أشقيتَ الورى ... وبمحض الكيد آذيتَ السلاما

قد هبطت الشرقَ داءٍ مُعْضِلًا ... لم يَفُتْ شيخاً ، ولم يرحم غلاما

فإلام العسفُ والغدرُ بنا ؟ ... وعلام اليوم حرمت الكلاما ؟

الخداعُ المحضُ قد حلَّلتَه ... والكفاحُ الحقُّ قد أمسى حراما !

أشخوصٌ نحن ، أم قومٌ لنا ... مطلبٌ قامت له الدنيا قياما ؟

لا تحدِّثْ عنكَ قوما عرفوا ... أنك الخطبُ الذى غشَّى الأناما

أو تلوِّحْ بالأكاذيب فما ... أدومَ الذلَّ ، إذا ما القيدُ داما

كلما طفتَ بواد آمن . . . ... طار عنه الأمنُ ، والخوفُ أقاما !

* * *

يا ذئابَ الغربِ قد ضقنا بكم ... وسئمنا وجهكم عاماً فعاما !

ما عليكم — لا جنيتم مطمعا — ... ياذوى الأطماع أن تحيَوْا كراما ؟

أعلى الله أخذتم مَوثِقاً ... أن تسوسوا الناسَ ظلما واحتكاما؟

---

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

ذلك الشرقُ الذى يُبغضكم   أقسم اليوم على ألّا ينـاما
ذلك الشرقُ الذى جازَ المدى   يوم هِمْتُم بالخرافات هُيـاما
هبَّ يسعى مُستعيداً مجدَه   لن يَمَلَّ السعىَ، أو يلقى الحِماما
فاتقوا الشرقَ، وخافوا بطشَه   إنَّ «سعداً» أيقظ الشرقَ وناما!

الشهيـــــد . . . !

جرت حوادث هذه القصيدة عام ١٩٢٤ ، ليلة الغطاس ، وقد خرجنا من الأزهر فى مظاهرة كبرى ، حيث الشوارع مظلمة ، ومصابيحها محطمة !

ولم تكد المظاهرة تشق طريقها فى شارع الغورية حتى أطبق عليها جنود الإنجليز الغاشمون بأسلحتهم من بوابة المتولى وعند ملتقى شارع الموسكى بشارع الغورية .

كانت المعركة رهيبة بين الوطنيين والأعداء ، وفيها لبى نداء الوطن والواجب كثيرون من شباب مصر الوطنى الثائر .

هـذه الأحداث شهدتها صبيا ، ثم سجلتها فى مدينة ميت غمر عام ١٩٣٣ .

فى ليلةِ الهولِ ، والأحداثُ تلتطمُ ... والشرُّ يعصف بالوادى ويحتدمُ

فى ليلة الهول ، والثوّارُ قد وثبوا ... كالأُسْد تُنشِبُ أظفارًا وتلتهم

فى ليلة الهول ، والثوارُ قد نفَرُوا ... إلى المنايا ، وقد أضراهُمُ الغشم

فى ليلة الهول ، والأنوارُ مطفأةٌ ... من الشوارع ، والأفواج تصطدم

والغدرُ فى مُهَجِ الأعداءِ مُشْتَعِلٌ ... والبأسُ فى أوجُه الثوار مُرْتَسِم

فى هذه الليلة الليلاء ، كان فتًى ... يسعى إلى مَثَلٍ تَحْيا به الهمم

يسعى إلى الموت مجنونا كأن به شوقاً إلى دمِ جلّاديه يضطرمُ !

وكان من خلفه قلبان كم خفقا ذُعراً ، إذا ما طغى البركان والحمم

قلبان قلب أبٍ يخشى فجيعتَه وقلب أمٍّ عليه كاد ينحطِم

فكلما سمعا الأصوات صاخبةً شبّت بصدريهما النيرانُ والضرَم

وكلما أبصرا قتلى ومجزرةً صاحا فقدناه ! يا للموت يحترم !

* * *

فى ليلة الهول ، والأحداث تلتطمُ والشرُّ يعصِفُ بالوادى ويحتدمُ

والثائرون لهم فى الأرض ألويةٌ مِن جُندها الحقُ والإيمانُ والشممُ !

عاد الفتى تحت جُنح الليل منطلقاً يسعى إلى أبويه وهو مُلتثم

فاستقبلاه على شوقٍ لطلعته وقبّلا وجهَه ، والدمع ينسجم !

وعاتباه ، ولكن فى مُخاشنةٍ أن يتبع الغيَّ ، وهو العاقل الفَهِم

«وكيف تسعى إلى الحرب التى اشتجرت وليس فيها لنا خيلٌ ولا نَعَم ؟

نهاك نهاك أن ترضى فجيعتَنا وارجع ـ هُدِيتَ ـ فإن الحرب تنتقم»

* * *

قد عاتباه ، ولكنْ يا له عتَباً أمضَّهُ ، فعراه السُخْطُ والبَرَمُ !

فصاح مما به : رَبَّاهُ معذرةً إلى سلائل فرعون الأُلى أثِموا

القاعدين عن الحق الذى سُلِبُوا والنائمين عن المجد الذى هَدَموا

أَمَا كَفَى أَنكم دِنْتُمْ لقاهرِكم — هذى السنين، ولم تخزَوْا، فتنتقموا؟

أما كفى أنه أمسى بفضلكمُ — يعيث فى ذلك الوادى، ويحتكم؟

ماذا تركتم لنا نرعاه بعدكمُ؟ — الدار؟ كيف وفيها الحق مُهتَضم؟

يسود فى الدار مَن لا حقَّ يَسنده — ونحن، أبناءها، مِن حولهم خدَم!

وكيف جئتم بنا للكون نعمُره — مقيَّدين؟ وكم فى القيد ما يَصِم؟!

أإننا وارثو المجدِ الذى خضعت — له المشارقُ، والأقطارُ، والأمم؟

أم إننا وارثو المجدِ الذى صدعت — أيديكمُ صرحَه؟ يا قومُ ويحكم!

إنا ليحزننا الأحرارُ قد سعِدوا — بالعيش صفواً، ولم ننعَم كما نعِموا

وإنَّ مما نقاسيه، ويُوجعنا — أنْ قد وثِقتم بمن ليست لهم ذمَمُ!

ليحىَ «سعدٌ» رجاءِ الشرق أجمعِه — ليحى هذا الزعيمُ المفردُ العلَمُ

الباعثُ النهضةَ الكبرى، وخالقُها — والموقظُ الأسْدَ قد ضاقت بها الأجم

فلْيشهدِ الحقُّ، والتاريخُ نهضتَنا — ولْيشهدِ الدمُ والأشلاءُ والرِمَمُ!

* * *

فى ليلة الهول، والأحداثُ تلتطمُ — والشرُّ يعصِفُ بالوادى ويحتدمُ

فى ليلة الهول، والأنوارُ مطفأةٌ — من الشوارع، والأفواجُ تصطدم

كنا نخوض إلى الأعداء مُعترَكا — نَرمِى ونُرمَى به والبأسُ مُحتَدِم

كنا نُباغتهم فى حيثما كَمَنُوا — كنا نشُدُّ عليهم كلما هجموا!

وكان هذا الفتى المقدامُ مندفعاً   يخطو إلى حتفه ، جذلانَ يبتسمُ
يخطو إلى حتفه ، لا شيء يُرهِبُه   حتى وهَى ، فرماه الفاتكُ العَرِمُ
فصاح والموتُ يغشاه ويُرعده :   أموتُ ، ولْيبق هذا النيلُ والهرم!
أموتُ ولْيحيَ مَن عاشوا ومَن سَبقوا   «ولتحيَ مصرُ» و«يحيا سعدُ» والعلَمُ!

إلى المستعمرين*

مُسْترِقِّى الشعوبِ ياظالميها حدِّثونا : إلى متى تظلمونا ؟

خلق اللهُ ذلك الكونَ حرًّا فلماذا عبادَه تأسرونا ؟

أتحدٍّ لقدرةِ الله جلّت إذ عتَوْتم فى ملكه مفسدينا ؟

يا يدَ الشعبِ داعبيهم رويداً فعساهم ، لو دُوعِبوا ، يعدلونا !

* * *

مسترقى الشعوبِ: فى مصرَ شعبٌ يأنَفُ الرِّقَّ ، والخداعَ المهينا

يُرخِص النفسَ أن تذِلَّ لضيمٍ يُنكِرُ الكونَ أن يعيش سجينا

فاعجُموا عُودَه ، إذا التبس الأمـ ـرُ ، فحاشى لعوده أن يلينا !

* * *

يا شبابَ البلادِ أحييتموها وأبيتم على المدى أن تهونا

كلَّ يومٍ لكم مواقفُ صدقٍ تملأُ الأرض رَوْعَةً وفُتونا

أرسِلوها فى قوةٍ وإباءٍ صيحةً تُرهب الألدَّ الخئونا

علِّموه كيف احترامُ الأمانى أشعِروه بأننا لن نَدينا !

قد سئمنا « حسنَ التفاهم » منه فلْيكنْ سوءه لنا اليوم دِينا !

---

* القاهرة : عام ١٩٣٣ . وقد نظمت ردا على بعض ساسة مصر وقتذاك ممن كانوا ينادون بسياسة « حسن التفاهم » مع الإنجليز .

مصـــرع النســـرين*

« هما الطائران المصريان الشهيدان فؤاد حجاج وشهدى دوس ، وهذه القصيدة قيلت يوم الاحتفال بدفن رفاتيهما »

خلِّ البكاءَ بموكبِ الشهداءِ   إنّ البكاءَ مطيـةُ الضعفاءِ

الناعيـين فلا تُحسُّ وجودَهم   والمائتين ، وهم مع الأحياء !

نسران طارا فى الفضاء وحلّقا   فوق الضباب ، وعاصِف الأنواء

طلبا الحياة لمصرَ ، عاش شبابُها ،   فاستشهدا فى موطن الأعداء

حدثٌ أزال عن العيون غِشاءها   فرأت هناك بسالةَ البُسلاء

الواهبين دماءهم لبـــلادهم   والمُقعديها مَقعــدَ الجوزاء

* * *

إن الذين وعَى الزمانُ فخارَهم   من كلِّ ذى تاج ، وربِّ لواء

الباسطين على الممالك ظلَّهم   الرافعين عروشَهم فى المـاء

المنجبين لمصر آسادَ الشرى   مِن كلِّ صاحبِ همةٍ ومَضاء

تركوا الهُوَيْنَى للضعيف، وأقبلوا   يتطلَّبون لمصرَ كلَّ عَـلاء

ويُزَخْرِفُون لها مقاصيرَ المنى   ما أشبهَ الأبنــاءَ بالآباء !

* * *

---

* ميت غمر : ١٩٣٤ .

أشبابَ مصرَ ومعقِدَ استقلالِها ورجاءها في الشـدةِ العسراء

العصرُ عصرُك ، ناعمًا ومشمراً والأمرُ أمرُك ، في هُدًى وعماء

فانهضْ به شأنَ الشبابِ محققاً ، رغمَ الخطوبِ ، لمصرَ كلَّ رجاء

لا تَغلُ في شأنِ الحياة ولا تكنْ متخلِّفاً عن معشر النُّصَراء

ما العمرُ ؟ما الآمالُ ؟ ما الدنيا إذا لم تُعلِ قومَك فوق كلِّ سماء ؟

ما كان ميْتاً مَن يموت لقومه لـكنه حيٌّ مع الأحيـاء

تمضي السنونُ ، وذكرُه وجهادُه قَبَسٌ يَشُقُّ مَطارفَ الظَّلماء

فاربأْ بنفسك أن يَضيمك ضائمٌ وافعلْ كفعلِ الفتيةِ القُدَراء

شرفٌ ومجدٌ أن تـكون ضحيةً لحياة شعبٍ ، ضاق بالنزلاء !

* * *

أشبابَ وادي النيل، شأنك والعلا في كل صبح مُسْفِرٍ ومَسـاء

في مصرعِ النَّسرينِ أصدقُ آيةٍ عمـا اضطلعتَ به من الأعباء

طارا إليك ، مبشرَيْن ، فعُوجِلا وسَرَ النَّعِيُّ بمصرع البُشَراء !

فأبِ لنفسك أن تذوبَ عليهما واكتُمْ أساكَ ، وحُرْقةَ الأحشاء

وافعلْ كفعلهما، ودعْ ذكرَ الردى فالموتُ خيرٌ مِن حياةِ شقاء

وانشرْ لقومك ما انطوى من مجدهم وأعدْ فَخارَ جدودك القدماء

هم ورّثوكَ المجدَ أبيضَ زاهراً فاحملْه مثلَ الشمسِ للأبناء !

ما في المُقام على الهوانِ سعادةٌ إلا لمحسوبٍ من البؤساء !

فدعِ الوَناء، فلن يسرَّك أن تُرى متخلِّفاً عن عصرِكَ العَدّاء

والخلد، نحو الخلدِ سرْ متقحِّماً ثمنُ الخلودِ بطولةُ العظماء

***

في ذمة الله الغفور وفضلِهِ نَسران من أبنائنا الكرماءِ

قلَّ البيانُ عن الوفاء إليهما ومشى الأسى باللوعة الحَرّاء !

فوجَمتُ، أحوجَ ما أكون تكلماً وعجزتُ عن تصوير بعضِ عزائي

ومِن الحوادث ما ينوء بحمله شعبٌ، ويُخرِسُ ألسُنَ الشعراءِ!

ملحمـــة

مصــــر التى . . .

بـــين بـــين . . !

بعد غياب دام سبع سنوات فى انجلترة ، عاد الشاعر إلى وطنه ، فى مارس ١٩٥١ ، لمدة شهرين .

وفى أثناء هـذه المدة طاف بكثير من المدن والقرى . وقد أذهله أن يرى الأحوال فى وطنه تنقلب من سيئ إلى أسوأ ، بينما الناس ذاهلون عن واقعهم ، وعما يكتنفهم من أخطار داخلية وخارجية !

كان الفساد مستشريا ، والملك باغيا فاجرا ، والاقطاع جشعا جائرا، والأحزاب فى صراع محموم من أجل الحكم : أبهته واستغلاله ، لا مسئولياته وتبعاته ! ! ثم كان الشعب منسياً . . ! لا أحد يفـكر إلا فى استنزاف جهده ، وامتصاص دمه ، وتسخيره لمآربه وشهواته . . !

ومن تلك الأوضاع الشاذة الأليمة استلهم الشاعر بعد عودته إلى مقر عمله فى لندن فـكرة هذه « الملحمة » ، فصوّر كلَّ ما رأى فى صراحة وصدق كما أحسه وشعر به .

وفيما يلى بعض صور من هذه الملحمة ، للدلالة على موضوعها واتجاهها وروحها . . .

مقـــدمة*

لا تؤاخذنى إذا صـــارحتُ قومى

بأمور فيهـــمُ لا أرتضيهـــا

أو إذا أرســـلتُها جبـــارةً

صيحةً تأخـــذُ مَن لا يتَّقيهـــا

أو إذا قلتُ لذى البـــغْى : اتئدْ

نحن قومٌ لا نرى البـــغىَ وجيها

لا تؤاخـــذنى : فمَن إيمـــانُه

فى كفاحِ الشرِّ لا يَخْشَى كريهـا

أو فآخذنى . . فما تسْـــطيعُ هَدْمًا

لفتًى عاشَ ، ولم يأسفْ ، نَزِيها !

---

* على الباخرة من الاسكندرية إلى مرسيليا . مايو سنة ١٩٥١ .

١ — أبناء الكلاب !!*

لا تخشَ مِن يوم الحسابِ
وقُلِ الحقيقــةَ لا تُحابى

أرأيت مَن تدعوهُمُ ظلماً بأبناءِ الكلابِ ؟
الطالِعين مفاجئيكَ بكل مَدْرَجةٍ وبابِ ؟
النائمين على « الرصيف » لَقًى كأسراب الذبابِ ؟
مِن كلِّ ملتحفِ السماء وكلِّ مفترشِ التراب ؟
أو كلِّ مسلوبِ القُوَى عبرَ الشبابَ بلا شباب ؟
أو كلِّ حيٍّ ميتٍ ، أكفانُه مِزَقُ الثيــاب ؟
ما بالهُمْ لا يرحمونكَ فى الذهــابِ وفى الإياب ؟
ويطاردونكَ بالدعاءِ ، وما الدعاء بمســتجابِ ؟
لا تأخذنَّك رحمــةٌ فيهم وبالغْ فى العقابِ !
الغـابُ مَرْتَعُهُ الخصيبُ لكل ذى ظُفُرٍ ونَابِ !

***

* لندن : يونيه ١٩٥١ ، والخطاب موجه إلى رجل الإقطاع .

أرأيتَ أبنـــاءَ الشقاءْ

المـكرَهين على الفنـــاءْ ؟

العائشين بلا غــذاءٍ . . أو كساءٍ . . أو دواءْ ؟

النيــلُ ؟ أين نصيبهمْ فى النيــل مِن زادٍ وماء ؟

ألهَمْ ، كما لَكَ ، حقُّهم فى مصرَ . . فى هذا الثراء ؟

أَم أنهم وُجــدوا ليبقَوْا طُعمةً للأغنيـــاء ؟

***

تلكَ الضحايا مالها متـكتلاتٍ فى العَـــراءْ ؟

ما لى أراكَ على الطـــريقِ تخافُهم خوفَ الوباء ؟

أمِنَ الشجاعةِ أن تَصُـــولَ عليهمُ بالـكبرياءْ ؟

أمِن المروءةِ أن تَسُــلَّ عليهمُ سيفَ الجفـاء ؟

ومِن الأخوةِ أن يُحَيَّوْا فى اللقـاءِ بالازدراء ؟

مهلاً . . رويدَك بالضحايا ، واصطنعْ بعضَ الحياء !

***

أرأيتَ أبنـــاءَ القبـــور

ملءَ المدائنِ والـكفورِ ؟

مِن كلِّ مشلولِ الحِجا أو كلِّ مسلوبِ الشعورِ ؟

مِن كلٍّ أخرسَ ناطقٍ أو كلِّ ذى بصرٍ ضريرِ ؟
مِن كلِّ محرومِ السرورِ فلم يَذُقْ طعمَ السرور ؟
أو كلِّ محكومٍ عليه بأن يعيشَ بلا مصــيرِ ؟

* * *

تلك الضحايا ما لهــا تغـــزوكَ باليأسِ المثيرِ ؟
بالفقرِ ، بالبؤسِ المجسَّمِ فى الوجــوه وفى الثغورِ ؟
بالجهلِ ، بالأمراضِ تنخَر فى العظام وفى الصدور ؟
لا يُفزعنَّكَ ما بحشْرَجَة الرِّعاعِ من النذيرِ . .
واعبُرْ على جُثَثِ الضحايا لا تخفْ وخْزَ الضميرِ !

* * *

ما بالهم يتملّقونكَ فى الرَّواحِ وفى البُــكورِ ؟
ما يبتغون ؟ أبعضَ ما سُــلبوهُ من مالٍ كثير ؟
مَن علَّم البؤساء أن يرنُوا إلى أملٍ عســير ؟
المالُ ليس بعصرَ حَقًّا للصــغير وللكبير . . !
هو للوجيــه ، وللمــدير ، وللأمــير ، وللوزير
ولِمنْ هُمُ فوْقَ الوزيرِ ، ومَن هُمُ فوق الأميرِ !

* * *

المـــالُ لم يخلقْ لإنقاذِ البـــلادِ من الشرورِ !
وعلاجِ أدواءِ المريضِ ، وســـدِّ حاجاتِ الفقير !
ولخير كلِّ مواطنٍ ، ولخلق شَعبٍ مســـتنير
وللاضـطلاعِ بكل إصـــلاحٍ ومشروعٍ خطير
ولرفعِ أبناءِ القُرى مِن وَهْـــدة العيشِ الحقيرِ !

* * *

المالُ مخلوقٌ ليمرحُ فيـــه سكانُ القصـــورِ !
ولِيُنفقوه بلا حســـابٍ فى الدعاية والظهورِ !
ولِينفقوه على المـــآدب والمراقص والخمـــور !
وعلى التختُّم بالجـــواهرِ والتقمُّشِ بالحـــرير !
وعلى السِّـــباق على القمار ، على الأناقة والعطور
وعلى المراكب[1] كالعرائسِ مسرعاتٍ كالطيـــور
وعـــلى التنقل فى الممالك للدعارةِ والفجـــور
تركوا العِنان للهوهمْ والشعبُ فى النزْعِ الأخـــيرِ !

* * *

---

(١) السيارات .

يا مصرُ يا أُمَّ العجـــائبِ

في الـكزازةِ والســـخاءِ !

في الفقر ، في الترف الذريع ، وفي الصراحة والرياء !

في الجهل ، في العلم الغزير ، وفي الغباوة والذكاء !

في الـكوخ ، في القصر المنيف ، وفي التديُّن والنساء !

ما هـــذه المتناقضاتُ الداعيـــاتُ إلى الرثاء ؟

أفتلك آياتُ التجـــدُّدِ والســـلامةِ والبنـــاءِ ؟

* * *

يا مصرُ ! كم ؟ والى متى نحيا ونخبِطُ في عَمـــاءِ ؟

الناسُ تعـــدو للأمام ، ونحن نركُضُ للوراء !

النـــاسُ تعملُ للخلود ، ونحن نعمل للفناء !

الناسُ تُسْرِفُ في الـكفاح ، ونحن نُسْرِفُ في الهراء !

يا مصرُ فِيضي بالحنـــان على بنيكِ الأشـــقياء

إن يَفقِدوا فيكِ الرجاءَ ، فمـــا الرجاءُ من البقاءِ ؟

٢ — مدرسة الرتب*

عجبٌ .. وحسبُكَ من عجبْ   في مصرَ مدرســـةُ الرتبْ

ميمـــــونةً قد أنشــئـ   ـوها للتـــلاميذِ النُّجُبْ !

ولهـــا مناهجُهـــا التي   قامتْ على محضِ الـكذبْ

وعلى الخنوعِ .. على النفا   قِ .. على مجافاةِ الأدبْ

وعلى التزلفِ بالشــــفيـ   ـعين : الدعارةِ والذهبْ !

---

* لندن : يونيه ١٩٥١ .

٣ – إنها الثورة .. أسمع خطاها !!*

أما فيكِ يا مصرُ مَن يغضبُ
ومَن لا يخافُ ولا يرهبُ ؟

أما فيكِ مَن قلبُـــه أمةٌ ومَن عزمُه الجيشُ أو أصلبُ ؟
أيطغَى الطغاةُ ، ويجنى الجناةُ ولا مَن يثورُ ولا يضربُ ؟
ألا مَن يُديل لمن عُذِّبوا مِن المجرمين الألى عَذَّبُوا ؟

* * *

أرى الظلمَ كالليـــل لا ينجلى وكالموت أشـــباحُه تُرعبُ
غريبون نحن ، وفى أرضـــنا وأرزاقُنا جمـــلةً تُسلَب !
وأرواحُنـــــا فى يد الظالمينَ دُمًى لا تُعَدُّ ولا تُحسَبُ !
ونســـألُ حريةً منهـــمُ وهيهاتَ حـــريةٌ تُوهَبُ !
ولا هى تُشرَى ، ولـكنما من الغاصبين لها تُغصَبُ !

* * *

أخى ! يا أخى كيف ترضى الخضوعَ ، ونحن بنى النيل لا نُغلَبُ ؟
أفقْ يا أخى ، فالشقاءُ الـكئيبُ يكاد بإيماننـــا يَذهبُ !

---

* لندن : يوليه ١٩٥١ .

أتسمع أناتِ شعبٍ جريحٍ ... وربُّ السهامِ أخٌ أو أبُ ؟
أتبصِرُ مثلى وجوهَ الضحايا ... تحدِّثُ بالبؤسِ ، لا تكذبُ ؟
أتبصرُ كيف استحال الرجالُ ... مطايا لحاكمهم تُركَبُ ؟
أتبصرُ مَن وُلدوا مُتعبين ... وما كابَدوا العيشَ أو جرَّبوا ؟
ومَن خرجوا ثم لم يرجعوا ... ومَن فى دُجَى السجنِ قد غُيِّبُوا ؟

* * *

وأدخُلُها فى اشتياقِ الغريب ... لعلِّى أراها كما أرغبُ !
فأبصرُها وكأنْ لم يَعدْ ... لهذا الزمانِ بها مأربُ !
وزايلها البِشرُ ، مِلحُ الحياةِ ، ... وفارقها الطِّيبُ والطَّيِّبُ !
وأضحتْ بساتينُها غابةً ... يعيثُ بها الذئبُ والثعلبُ !
فلا أملٌ يستحثُّ النُّهى ... فيشغَلها الصعبُ فالأصعب !
ولا فرحٌ يستخفُّ النفوسَ ... ويُوحِى إليها بما يُطربُ !
ولا النيلُ يَرْوِى جفافَ القلوبِ ، ولا يُنعشُ الروحَ أو يُخصبُ !
ولا الروضُ يقطُرُ منه الشذَى ... ولا هو فينانُ مُعْشَوْشِبُ !
ولا هىَ مصرُ كعهدى بها ... ولا هىَ مصرُ التى نَرْقُب !
ولكنها هىَ مصرُ الطغاةِ ... ومَن ورِثوها ولم يَتعبوا !

ومَن يومُنا معهم بالعصيب ومَن يومُهمْ معنا أعصبُ !

* * *

يقولون : شعبٌ طواه الفناء أتفنى الشعوبُ ؟ ألا فاعجبوا

سينتقمُ الشـــعبُ مستقتلًا لمن كم أُسيئوا وما أذنبوا

سينتفض الشعبُ من صمته ويبعثها صرخـــةً تُرعبُ

سيرسلهـــا ثورةً قلبُهـــا بحقدِ الملايين لا يَنضُب !

وكالليــــل تدركُ أعداءها فلا مَن يفــرُّ ولا يهرُب

فمِن أجـــل مصرَ وأبنائِها يهونُ الفِـــداء ويُستعذَبُ !

* * *

فَوَيْلَ الطغاةِ غداةَ الحسابِ على ما جنَـــوْهُ وما خرَّبُوا

لئن قرَّبوا الشعبَ من حَيْنه فإنَّ منيـــتَهمْ قـــرَّبوا

وللنصرِ يومٌ قريبٌ الصباحِ وللظلم ، مهما يَطُلْ ، مَغْــرِبُ !

٤ — ســـوف ...*

من وَحى خطبة العرش

«سوفَ» ! يا «سوفَ» قد سئمناكِ فينا

خُدعةً حُـــلوةً ، وحُلْمَ نهـــارِ !

« سوف » ! يا « سوف » وانتظرنا قُرونا

فإذا بالرجاءِ محـــضُ انتظارِ !

***

سوف يا قومَنا نَرُدُّ الصحارَى سكَنًا طيِّبًا ، ورَوْضًا نضيرًا

وحقـــولاً تجودُ بالخير حتى لا يرى الشعبُ جائعًا أو فقيرًا

سوف مِن جوفها نفُضُّ كنوزًا ذَخَرَتْها لنا الجـــدودُ دهورًا

وانتظرنا مؤمِّلين طـــويلًا وإذا بالرجاءِ مَحْضُ انتظارِ ..!

***

سوف نبنى معاهدَ العـــلم حتى تَزْحَمَ الريفَ والصـــعيدَ أُلوفا !

فإذا الجهـــلُ قد تلاشَى وولَّى وإذا الشعبُ قد غدا فيلسوفًا !

سوف نَرْعَى المرضى إلى أن يَصِحُّوا وغـــدًا لا ترى بمصرَ ضعيفا !

---

* لندن : سبتمبر ١٩٥١

وانتظرنا مؤمِّلين طـــويلًا وإذا بالرجاء محضُ انتظار !

* * *

سوف يَلقى المستعمرون وبالًا وكفاحا منا لهم وقتـــالَا

سوف نُجليهمُ عن النِّيـل طُرًّا ونردُّ احتـــلالَهمْ أطلالا

ومُحالٌ أن نُلقِيَ السيـفَ حتى نجدَ الشعبَ نال الاستقلالا

وانتظرْنا مُؤَمِّلين طـــويلاً وإذا بالرجاء مَحْضُ انتظارِ !

* * *

سوف يلقَى العمالُ منا عنايةْ واهتمامًا بخـــيرهمْ ورِعَايَةْ

سوف نرقَى بهمْ ونجعلُ حَدًّا لمآسِي حيـــاتِهم ونهايةْ

وطَرِبْنا لحظِّ عُمَّـــالِ مِصْرٍ ورجَوْنا تحقيقَ هذى الروايةْ

وانتظرنا مُؤَمِّلين طـــويلا وإذا بالرجاء مَحْضُ انتظار !

الذل*

أنتَ يا ابنَ الفقر يا ابنَ الظلم والجهلِ المبيدِ

يا أخا الحِطَّةِ والضعفِ ويا صِنْوَ الجمـودِ

يا عدوًّا للمروءاتِ وأمجـــادِ الوجودِ

يا سلاحًا سلّه الشرُّ على هـــامِ العبيدِ

يا طريقًا ينتهي بالناس للبؤس المـــديدِ

ومجازاً يعـــبر الناسُ عليـــه للُّحودِ

أنتَ يا مَن يدفعُ الناسَ إلى اليأس الشديدِ

البطولاتُ على أرضكَ تَفْنَى كالحصـــيدِ

والرُّجُولاتُ سَرابٌ حين تدنو من بعيدِ

أنتَ داءٌ حطَّم الشعبَ إلى أقصى الحدودِ !

---

* لندن : نوفمبر ١٩٥١ .

ثم جاءت الثورة :

على لسان الثوار *

ولما طغى فينا الفسادُ المجسَّدُ ورَانَ على مصرَ الشقاءُ المؤبّدُ

وخُيِّل للطاغوتِ فى الوَهْمِ أنه له الأمرُ : يُشقِى مَن يشاء ويُسعدُ

له الأمرُ : يَقضِى ، فالأذِلاَّءُ سادةٌ وخيرُ بنى الأحرارِ عانٍ مُقَيَّدُ

ولما غدَا للشؤمِ رمزًا ، ولم يَعُدْ هناكَ لوادى النيلِ فى ظلِّه غَدُ

وكاد يظنُّ العقلُ أنْ ليس فى الحِمَى قُوَى تصرعُ الظلمَ العتيدَ وتحصُدُ


عليــه تمرَّدْنا وثُرْنا لقومنا وقد كان أدْنَى ما يكونُ التَّمرُّدُ !

---

* لندن : ١٩ أبريل ١٩٥٢




بين الطبيعة



حـــديقتنا*

أشَــاقك رؤيةُ الوجهِ المنيرِ ... ولذَّلكَ منظرُ الحسْن الطريرِ

وراقكَ أن ترى الأنوارَ تُزهو ... تضيء جوانبَ الروضِ النضير

ونبَّـه منكَ حالمــةَ الأمانى ... هواتفُ فى الأصائل والبكور

فأزمعتَ الرحيــلَ إلى مكانٍ ... يَشيعُ بجوِّهِ أرَجُ العــبير ؟

* * *

حديقتُنا نمــــا فيها خيالى ... صغيراً فى حِمى الدّوْح الصغيرِ

تداعبُــهُ الورودُ براحتيهـــا ... يهامســه البنفســج بالثغور

خيالى.. من خيال الروض.. سامٍ ... بعيدُ الغَــوْر ممنوعُ النظير

وقد يجفو حديقتَه غضــوبا ... فتعطفه بأنغـــام الطيــور

* * *

حديقتُنا عروسُ الروضِ طرًّا ... ألَمْ ترَها مهدَّلَة الشــعور

على بُسُطٍ من الأعشاب تمشى ... كما تمشى على المهــد الوثير

ترى الأشجارَ تنبت فى ثَراها ... من الشجر الصغير إلى الكبير

بوارف ظلها الوافى امتــدادا ... تَقيك لوافح اليـوم الحَرور

(*) القرية : أغسطس ١٩٣١ .

تجوب بهـــا الحمائمُ هادراتٍ فتُشجيك الحمـــائمُ بالهديرِ
وأسرابُ الطيور قد اطمأنت جماعتُها على الأيك النضـير
ترجِّع فى الفضاء هوًى مُذاباً فتُفصحُ عن جوَى القلب الكسير
وقد تَبكى فتُبكى سامعيها وقد تلهو فتعبثُ بالشـــعور
بصوتٍ دونه صوتُ الأمانى يُريك بدائعَ المعطى القدير

***

حديقتُنا : ألا لكَ أن تراها ؟ تُزيل الهمَّ ، تُقبل بالسرور
تعاشقتِ الغصونُ بها لتحمى ثَراها سطوةَ القيظ المغــير
ولولا الشمسُ تأخذها بيَاتا لما سمحتْ لضـــوءٍ بالمسير !
ويستصبى الخيالَ بها غـديرٌ كأن الحسنَ من ذاك الغدير
إذا همس النسيمُ إليـــه سرًّا يبوحُ لنـا به صوتُ الخرير
وما راع الفؤادَ سوى شعورٍ يغالبه فيبدو فى الزفـــير
ولو كان الكلامُ له مباحًا لحدَّثنـــا عن الهجر المرير
وعن أيام صَـــبوته وماضٍ مضى فى غـير إثمٍ أو فجور
وكيف الماء يضطرم اشتياقا فتضحكُ كلُّ آنسـةٍ نَفُورِ
على أن الميـــاهَ لها قلوبٌ تُؤَلِّبُها العواطفُ بالسـعير

***

وتسمعُ للرياح إذا استُثيرت — بهـــا صوتاً يُترجَم بالزئير

ويُمسى الليــلُ يَقْذِفُها بليلٍ — تَضِل بجوفه عينُ البصـيرِ

ألا لله ما أبهاهُ ليـــلا — يُرينا الدوحَ فى الحجم الصغير !

نمدُّ إليه أيدينَا اســـتلامًا — لهامته فتعثُر بالجـــذور !

فواشـوق لمنظرها صـباحًا — ومطلعِ شمسِها البَهِـجِ المنير

وواشجنى إذا ما الليـلُ غشّى — مسالـكَها ، ومَدَّ على القصور

كأنى لم أقم فيهـــا زمانًا — ولم يكُ زهرُها الزاهى سميرى

ولم أطرب لصَـيْدحِها المغنى — ولم أسعدْ بآسرها[1] الأسـير

* * *

ألا ليت المقـامَ بهـــا مديدٌ — فأنسَى قسوةَ القــدرِ المريرِ

وأذهَلَ عن دواعى العيش طرًّا — سوى داعٍ يجُرُّ إلى الحبور

وليت إذا وقفتُ بها أصيلا — يجودُ الدهرُ بالنفَسِ الأخيرِ !

---

(١) القمر .

في الحديقة*

زهرة الفل

زهرةٌ حالمـــةٌ في مهدِها ذاتُ وجــهٍ كرقيقِ الأملِ
مَن يرَ الحسنَ سَنًى في خدها يُبرِدِ الشــوقَ بفَيْضِ القُبَلِ

* * *

زهرةٌ تبسِمُ عن ثغرٍ رقيقْ سكَنَ الحسنُ بطياتِ لَمَاها
هاتِها يا صاحِ : إنى لا أُطيقْ أن أراهـا ثم لا ألثُمَ فاها

* * *

زهرةٌ كالأملِ الحلو وأحلى تُسكر النفس وتُودِي بالشجَنْ
هاتِها ألهو بهـا أو أتسلَّى عن هوًى أهفُو إليه وأحِنّْ

* * *

هاتِها تَستافُ نفسى عطرَها فهو أَحْرَى بالنفوسِ الشارداتْ
آه ما أحلى وأندَى نشرَها إنه يُحيي بنفسى الذكريات !

* * *

لو ترى النرجِسَ إذ كاشفَها بهواه فى انبــلاجِ السحَرِ

---

* القرية : عام ١٩٣١ .

أو نسيمَ الفجرِ إذ لاطفها   وهْىَ غرْقى فى خِضَمٍّ الفِكَرِ

***

أو ترى الصبحَ وقد بلَّلها   بنــداه فانثنت فى طَرَبِ
أو شعاعَ الشمس إذ قبَّلها   وكساها حلةً من ذهب

***

أو تراها وهْىَ فى نشوتها   حينما ازدانت بأنوار الربيعِ
لَبعثتَ القلبَ فى صحبتها   يتملَّى عالَمَ الحسنِ البديعِ

***

فتعالَىْ علِّنى منــكِ أرى   فى ضميرِ الغيبِ ماضىَّ القديمْ
أنتِ مفتاحٌ لأسرارِ الوَرَى   فامنحينى ذلك السرَّ العظيمْ

***

زهرةَ الفُلِّ ! ويا رَيَّا الحياةْ   يا مَــلاكاً لم يُدَنَّسْ أبدا
يا مُنَى القلبِ الذى جفّ نداه   يا رسولًا لا يُرائِى أحدا

***

عطِّرى أرجاءَ قلبٍ خربِ   وانفُثى فى صدرِه بعضَ الرجاءْ
أشعريه بالحيــاة العجبِ   عَلَّهُ يقوَى على حَمل الشقاءْ

من على الربوة*

في مدينة ميت غمر كان يختلف الشاعر إلى جزيرة وسط النيل المقدس، حيث يحيا بين الطبيعة، على ربوة يشرف منها على النهر، غارقا في أحلامه. وفي أصيل ربيعي جلس كعادته، فأطلقت في خاطره مواكب الربيع، ومرائي الأصيل فكرة هذه القصيدة. وهي مهداة إلى المصور المصري شعبان زكي.

إلى الشاعرِ المكدودِ يانَسْمَةَ العصرِ ... إلى الشاعر الظمآنِ ياموجةَ النهرِ

إلى ذلك الفنـانِ أفْرِدَ حالمـاً ... على شاطىء من نشوة الغَرسِ في سُكْرِ

على شاطىءٍ ألقتْ إليـه قيادَها ... سفائنُ قد ملَّتْ مجاهدةَ السير

أحاطت به القَصْبَاءُ[1] كالأُمِّ تبتغي ... له سـلوةً في كل ريّانَ مُخضَرِّ

ويسعى إليه الموجُ وهو مصفِّقٌ ... كأن به شوقاً تحرَّكَ في الصدر

ويُسمعه المِزمارُ ألحانَ عالَمٍ ... تولَّى ولم يُعقِبْ سوى لوعةِ الذكر

وتُشجيه أصواتُ النواقيس قربَه ... وتُشعره الإيمانَ من حيث لايدري

ومِن خلفه دنيا، يثورُ ذئابُها ... ويُعنَى بها الخير المسالمُ بالشر

ويقتتل الإنسانُ في غير مَقْتَلٍ ... ويفتخرُ الإنسان في غير ما فخر!

فوالهفي! مَن لي بدنيا أرودُها ... وأنسى بها وجهَ المُلاحاةِ والجَوْر!

* * *

---

* ميت غمر: ربيع ١٩٣٢.

(١) جماعة القصب الذي يطلع على شواطىء الأنهار عادة.

إلى الشاعر المكدودِ يانسمةَ العصْرِ إلى الشاعرِ الظّمآنِ ياموجةَ النهرِ
إليـــه وحُلّا عقدةً من لسانه لينطقَ بالسحر المبين من الشِّعر
فهذا الربيعُ الطلقُ يدعوه هاتفاً بما فيه من نُورٍ وما فيه من زهر
تمشَّى على هذى المروج فأعشبتْ وغنتْ على الأعواد ساجعةُ الطير
ومدَّ على الأشجار كفًّا فأورقتْ بأنضرِ ما يهتزُّ مِن وَرَقٍ نَضْرِ
كساها الربيعُ السمحُ كلَّ مُفوَّفٍ تميس به بين البراءة والطهر
كساها وكانت عارياتٍ جسومُها كَمَن عاش من بخل الشتاءِ على فقر !
وأبدع فيها للعصافير مَسْرَحاً تُشقشق فيه فى الأصيل وفى الفجر
مواكبُ وشّاها الربيعُ بكفِّه وأطلعها سحراً يَجِلُّ عن السِّحْرِ !

* * *

فيا ساحرَ الألباب بوركت ساحراً يُفيء علينا بالحيـاة وبالبشر
تنفَّستَ فى جو الحدائق والرُّبَى فأودعتْ فيه العطرَ ناهيك من عطر
وفجرتَ فى قلبى الينابيعَ عذبةً وكم عاش فى دنياه كالواحة القفر
وأحييت آمالَ النفوسِ التى ذوت وأسلمها رَيْبُ المنون إلى القبر
وفتَّحتَ أكمامَ الأزاهرِ مُبْدِعاً وأطلعتَها فى الروض بَسَّامَةَ الثغر
تُعطِّرُ أشتاتَ القلوب بطيبها وتُوحِى إلينا بالتأملِ والفكر
فأىُّ خيال يَنظم الـكونَ مَعْرِضاً يموج بآياتِ الصباحة والنّشْر

من النَسم ِ المِعطارِ والزهرِ والرُبى   من الألَقِ اللماحِ والطيرِ والنُّوْرِ

* * *

إلى الشاعر المكدودِ يانسمةَ العصرِ   إلى الشاعر الظمآن ياموجةَ النهر

إليـــه وحُلّا عقدةً من لسانه   لينطقَ بالسحر المبين من الشعر

إذا مرّ يومٌ لم يكنْ فيه شاعراً   فأخلِقْ به ألا يُعَدَّ من العمر

وما المجدُ إلا أن يعيش محلِّقاً   يثورُ لدى الجُلَّى ويهتف للنصر !

بين النخيـــــل*

أنا بينَ النخيلِ كالطائرِ الحا لِمِ فى عشِّهِ بطيفِ السَّعَادةْ

أنا بينَ النخيلِ كالجدْوَلِ الها دئِ يَمْضِى فلا تُحسُّ اطِّرادَه

أنا بينَ النخيلِ كالشَّجَرِ الوا رفِ ، يَحْمِي بظلِّه قُصَّادَه

***

أنا بين النخيل كالزَّهَرِ العا بقِ تَحْيَاَ بطِيبه الألبابُ

أنا بين النخيل كالثمر اليا نِع ، حُلوٌ مَذاقهُ مستطابُ

أنا بين النخيــــل ظلٌّ وماءٌ وهواءٌ ، وجنةٌ مِخْصابُ !

***

أنا بين النخيل كالشاعرِ الحا لدِ ، قد هامَ بالجمال هُياما

أنا بين النخيل كالعابد الحسْنَ فلا يُسْتَمالُ عنه لِماما

هُو هذا أنا ، فمَن لى بصوت يمنعُ الناسَ أن يُطيلوا الملاما ؟

* القرية : صيف ١٩٣٣ .

ذكـــرى الروض *

ذَكَّرتَنى يا روضُ بالبـــدرِ ومواكبِ الأنوارِ فى الفجرِ

ذَكَّرتَنى بالصـــبح مُؤتَلِقاً وبوارفِ الأشجار والزهْرِ

ذكرتنى بالطـــير هاتفةً فوق النخيل بنغْمة تُغرى

ذكرتنى بالريح ناعمـــةً وبِرِقَّةِ الأَنْداء والعِطْـــرِ

أيامَ كنتُ أظلُّ مبتهجاً وأصوغُ فيكَ روائعَ الشِّعر !

أيامَ كان الدهرُ فى سِنَةٍ عنِّى ، وكنتُ أعيشُ كالطيرِ

* * *

ومضتْ عُهودٌ لستُ أذكرها مِن هَوْلِ ما فيها من الشر

لم ألقَ وجهك فى طلاقتِـه أو أحظَ فيكَ بموقف شِعرى

واليومَ أنزلُ فيــك مغترِباً جمَّ المتاعبِ ، ضيقَ الصَّدْرِ

سأمانَ من نفْسى ومن زمنى ومن الحيـاة ، وطعمِها المرِّ

فيكاد يُنكرُنى ، وأُنكرُه ما فيكَ مِن حُسْن ومن سِحر !

* * *

يا روضُ عدتُ إليك مُبتئساً أبغى الشفاء ، ونعمةَ البِشْرِ !

---

* القرية : صيف ١٩٣٤ .

فأرِحْ فؤادى من وساوسـهِ ومتاعبٍ قد أنقضتْ ظهرى
ومُرِ الطيورَ تُغَنِّ لى سَحَرًا نَغَمًا يَهِيجُ لواعجَ الذِّكْرِ !

* * *

يا روضَ أيامى التى سلفتْ ومَعِينَ أشعارِ الصِّبا النَّضْر
مَن لى بيوم فيـك أهدؤهُ وأبيعُ فيـــه بقيةَ العُمْرِ ؟

اليمــــامة*

حطَّتْ على الدَّوْحِ واطمأنتْ في ظِـــلِّهِ الوارفِ الظَّلِيلِ
يمامةٌ بالغناء تَشْـــدُو فتأسِرُ القلبَ بالهــــديلِ
فوق الرُّبى والنخيل عاشتْ في عشِّها الوادعِ الجميــــلِ
تستقبلُ الشمسَ في ابتهاج بطرفِها الناعسِ الــكحيلِ
وترمُقُ النـــورَ في فُتونٍ بنظرةِ العاشــــقِ الخجولِ

* * *

طارتْ مع الصبح ثم طارتْ فوق الروابى وفى البطاحْ
ورَفْرَفَتْ في الفضاءِ تسعى ، كالناس ، للعيشِ في كفاحْ
يهفُو لها القلبُ إنْ رآها تطـــيرُ رفّافَةَ الجنــــاحْ
وتقطعُ اليوم في غِــــناءٍ وفى ابتهاجٍ وفى انشراحْ
حتى إذا ما المســـاءُ أَوْفَى هَمَّتْ مع الطـــيرِ للرَّوَاحْ

* * *

يا زينـــــة الروض يا يمامةْ يا مبعثَ الشِّعرِ والخيــالِ

---

* القرية : صيف ١٩٣٤

أَلقَــاكِ والنفْسُ فى مَلالٍ فيذهبُ الشــــدوُ بالَملال

يا طيبَها لحظةً قذفَتْنَــــا فى بحرِها عالَمَ الضــلال !

فابقىْ على الدهرِ ، واطمئنّى فى صُحْبــةِ الدَّوْحِ والظِّلالِ

قُقُو قُقُو قَقْ ، قَقُو قَتُو قَقْ دُنْياً من السِّحْرِ والَجمال !

نشـــيد الغـــروب *

بعد غيبة طويلة عاد الشاعر إلى النخيل ، وفى إحدى أمسيات الخريف دخل يستعيد ذكرياته الماضية ، فإذا الطيور جائعة إلى أعشاشها للمبيت ، صاعدة هابطة فى موسيقى عذبة ، وكأنها كانت ترحب به ، لما بينهما من سابق ألفة واتصال ! وقد استثاره هذا المنظر ، فأوحى إليه هذه القصيدة :

يا طيورَ المساءِ فى الروضةِ الوســـنَى : يحيِّيكِ شــاعرٌ تعرفينهْ

يا طيورَ المساءِ : قد عاد يستنشـــقى بلحنِ المُنَى ، فهل تُسمعينه ؟

رَفْرِفى فوقَ رأسِه وحوالَيْـــه ، وغنِّى له وأَذْكِى حنينــه

إنه كان يصطفيكِ على الــكو نِ ، ويُوليكِ شِعرَه وفنونه !

* * *

يا طيورَ المســاءِ : ما زال يهوا كِ ، فغنِّى بعَــوْدِهِ ومَزَارِهْ

نزل الروضــةَ الحبيبةَ فى الليـــل ، كما ينزل الغريبُ بداره

ومشَى يستعيدُ فيها رُؤَى الما ضى وما قد وَعَتْهُ مِن أخباره

ها هنــا فى حِمى النخيلِ تلقَّى مُرقصاتِ الأنغام من أشعاره !

* * *

عانقتْهُ الأشجارُ والزَّهْرُ والأضـــواءِ ، يا حَبَّذا عِناقُ الطبيعةْ !

---

* القرية : خريف عام ١٩٣٥

وتهاوتْ إليه تلثمُ خَدَّيْه   بشوقٍ قد استثارَ دموعَهْ
جُمِّعتْ حَوْلَه المواكبُ شتَّى   وهْيَ ما بين مولَعٍ وولوعةْ
كيف لا تُظهر السرورَ، وقد كا   ن ربيعاً لها، وكانت ربيعه؟!

* * *

النسيمُ العطريُّ ما بالُه الليلةَ، يَسْرِي إلى فؤادي شَذاهُ؟
والضياءُ البَدْرِيُّ ما بالُه الليلةَ، يمحُو ظلامَ نفسي سناهُ؟
والنخيلُ الروضيُّ ما باليَ الليلةَ، أهفو إليه دون سواهُ؟
كلُّ شيءٍ حولي يُعيد ليَ الما   ضي، ويُجْرِي أمامَ عَيْنِي رُؤاهُ!

* * *

يا طيورَ المساء: أين تَوارى   طيفُ ليلاتنا بشطِّ الغديرِ؟
ها هنا كنتُ أهجر العيشَ والنا   سَ، لِأَحْيَا في عالَمٍ من نورِ
وهنا كانت السعادةُ تحبو   ني بفيضٍ من النعيم غزيرِ
وهنا طارتِ السعادةُ عن وَكْـ   ـرِي، وأهْدَتْ إليّ سُوءَ المصيرِ!

* * *

يا طيورَ المساء: في لحنك العَذْ   بِ، مَثارٌ لذكرياتٍ شريدةْ!
يا طيورَ المساء هل مِن سبيلٍ   تَصِلُ النفسَ بالليالي الشهيدةْ؟
أين مَن كنتُ إذ أراها هنا أنْسَى   شقائي، قديمَه وجديدَهْ؟

هِيَ كانت هنا، وكنتُ أراها   طَلْعَةً تُلْهِمُ الفؤادَ خلودَه !

* * *

يا طيور المساء : قد صمتَ الرو   ضُ، ونامَتْ أطفالُه في لغوبِ !

يا طيور المساء قد عُدْتُ أَسْتَشْـ   فِي بِلَحْنِ المُنى ، فَعَادَ وَجِيبِي !

كلُّ شيءٍ إلى الغروب أراه الآ   نَ ، يَمْشِي في سَمْتِه المرهوب !

ونشيدُ الحياة قد عاد، إذ عُد   تُ إلى روضتي، نشيدَ الغروب !


من
وحي المصيف



على الشاطئ*

عِمْ صباحاً يا كعبةَ المصطافِ ومَلاذَ الأحبابِ والأُلاَّفِ

قد سعينا إليك يسبقنا الشو قُ ، فماذا أعددتَ للأضياف ؟

نحن ركبُ الجمالِ والفنِّ جئنا نتملَّى الجمالَ فوق الضِّفاف

فانظم الشاطئَ الكريم جمالاً نتملاَّه فى الوجوه اللطاف

ما بغير الجمال ينتعش القلـ بُ ، ويصحو من الشقاء الموافى

* * *

مرحباً بالجمال يعبث باللبِّ ويَخفَى فى لُجَّةِ الرَّجَّافِ !

نزل الحسنُ فى حِمَى اليمِّ يُبدِى فِتَنَ النور فى بديع ائتلاف

فإذا الموجُ راقصٌ من سرورٍ للعذارى ، يُرِينَهُ كلَّ خاف !

وكأن الأمواجَ ، وهى تُلاقى كلَّ جسمٍ مهفهف شفَّاف

قُبلةُ العاشق المروَّع قد خفَّ إليها فى رعشةٍ وارتجاف

* * *

أيها الموجُ : لا عليك ، تمتَّعْ بعثات الحسان والآلافِ !

ها هنا تخطِرُ الملاحةُ والحسنُ وتحيـا لآلئُ الأصداف !

---

* الإسكندرية : صيف ١٩٣٨ .

مشرقاتٍ كأنهـا الأملُ البا سمُ، يبدو مِن بَعد طول تجاف
فابعثِ الفرحةَ التى تشمل اليمَّ وأشفِق على القدود النِّحاف ؟

* * *

لستُ أنسى الشطآن رَفَّ عليها كلُّ طيرٍ مجنِّحٍ رفّافِ !
لستُ أنسى ماكان يومَ اجتمعنا بين سربٍ إلى الهوى مِهياف[1]
من عيونٍ توَثَّب السحرُ منها ونهـودٍ تطلعت لاقتطاف
ووجوهٍ تألق الحسنُ فيها وخصورٍ مضمَّراتٍ عِجاف
وجمالِ السيقان مُدَّتْ على الرمل فبانت دقيقةَ الأطـراف !
فِتَنُ الحسنِ جُمِّعتْ فى مكانٍ عبقرىٍّ يختال فى الأفواف
قد نعِمنا بطيبـه، وكأنَّا قد نعِمنا بروضـة مِئناف !

* * *

لستُ أنسى الظباءَ قمن إلى الشطِّ خفافَ الخُطا، وغيرَ خفاف
لستُ أنسى الظباءَ يهزجن للبحرِ عا فيـه من غريق وطاف
يستثرن الأمواج، وهْىَ غوافٍ يرتشفن الأنوارَ أىَّ ارتشاف
لستُ أنسى الأطفالَ والموجُ يطغى فيـلاقى أقدامَهم، ويوافى
فإذا هم فى نشـوةٍ وصِياحٍ وانثناءٍ عن قصدهم وانصراف

---

(١) شديد الظمأ .

لا ولا الشمسَ حين أدركها الأَيْنُ فغابَتْ في العَيْلَم[1] الرجّاف
نزلتْ تستَجِمُّ في البحر غَيْرَى مِن شموسٍ تألّقتْ في الضفاف !

* * *

لستُ أنسى ساعَ الأصيل ولا ما كشفتْهُ للشـــاعرِ الوصّاف
أدركتني جلالةُ الشعرِ فيهـا ووفَى لي بهـا الخيالُ الوافي
وكأنَّ الظلالَ أرواحُ عشـــا قٍ ، يُرَجِّين نعمةَ الإنصاف
وكأني سَمَوْتُ عن عالَمِ القيـ ـدِ ، لكونٍ جمٍّ الطلاقة صاف
عانقتني فيه السعادةُ مِن بَعـ ـدِ خصامٍ ، وجفوةٍ وانحراف
ورأيتُ الأطيافَ تَرْقُصُ حولي وكأني طيفٌ من الأطياف !

* * *

ياجمـــالاً بالشطِّ كان نعيماً وجحيماً للشاعر المصطافِ !
لم يكن شـــطُّكَ المباركُ إلا برزخاً بين مأمَلي ومَخـــافي
قد وقفنا من فوقه ، وكأنا قد وقفنا بشاطىء الأعراف[2]

* * *

حبَّذا البحرُ في اتساعٍ وعمقٍ مُنشداً شـعرَه بغيرِ قوافِ !

---

(١) البحر .

(٢) قيل هو سور بين الجنة والنار ، واستعمل هنا مجازا للفاصل بين النعيم والشقاء .

حبَّذا الموجُ وهو يضربُ بالرّغو وجوهَ الصخورِ والأعطاف

حبَّذا الموجُ وهو يسعى إلى الشط ويَفْنَى على صدور الضفاف !

* * *

أيها البحرُ : فى صفافك تخضلُّ قلوبٌ ملَّت حياةَ الجفاف

أنت تُوحى لنا بأسمى المعانى وتُوافى بكل فيضٍ شاف

أنت أخرجتَ كلَّ فكر عن الصمت ونبَّهتَ كل ساهٍ وغاف

أنت سرُّ الوجود فى ذلك الكو ن ، ووراو مَجادةَ الأسلاف

قد حججنا إليك ، ثم رجعنا لحياة شديدةِ الإجحاف

كلما ضقتُ بالحياة تمثْلتَ أمامى فى كلِّ حُسْنٍ ضاف

فإذا بى أعود أهنأ بالاً وإذا بى سامى الخواطرِ صاف !

* * *

آه مَن لى بأن أراكَ وشيكاً ؟ آهِ مَن لى بعُمرةٍ وطواف ؟

وداع الشاطىء*

عُدْنا ؟ أجلْ ، عُدْنا ! فَقُلْ لى: ماذا رأيتَ على « سِتَانْلِى » ؟
ماذا رأيتَ ، وقد وقفـ ـتَ ضُحَى على الرمل المُطِلِّ ؟
مِن كلِّ جسمٍ ضــاحكٍ يُوحى إلينـــا بالتملِّى ؟
مِن كلِّ غازيةِ القــلو ب ، تسير فى صَلَفٍ ودَلِّ ؟
أو كلِّ ســـاكنةِ العَرا ء ، وكلِّ نازلةٍ بظل ؟
زُمَرٌ من الحسن الرفيـ ـعِ ، تطوف فى ضنٍّ ونَيْلِ !
هذى تحيِّى مَن تشـــا ء ، وتلك تبخل أىَّ بُخل
ضاقت بهنَّ الأرضُ حتى كدتُ أُجلَى عن مَحلى !
فأخذتُ من عجبى أحـدّ قُ فى المُشَارِف والمُوَلِّى !

* * *

من أىِّ وادٍ فى الـكنا نة ، أو صعيدٍ ، أو محلِّ
طلعتْ أفانينُ الجما ل العبقرىِّ على « سِتانلى » ؟
ولأىِّ ســـحرٍ فى المصيـ ـف ، يخفُّ كلُّ فتى وكهل ؟
آمنتُ بالحســـن الرفيـ ـعِ ، وسحرِه السحرِ المضلِّ !

---

* ميت غمر : صيف ١٩٣٨ .

مهما أقلْ فيـــه فلســــ ــتُ ببالغٍ جُهدَ المُقلِّ !

* * *

يا قلبُ ، والحسنُ استوى ، خلِّ الوقارَ اليـــومَ خلِّ

وابسِمْ كما بَسَمَ الهوى وانزِعْ هنالك كلَّ غُلِّ

وانسَ الحياةَ ، وما بهــــا ودَعِ الشقاءَ لما يسلِّى

واهتفْ بشــــعرك للغوا نى ، قد برزن بألف شكل !

ألقين عاريةَ الثيـــا بِ ، بضيقِها الضيقِ المُمِل !

ولبســــنَ أمواجَ الخضمِّ البيضَ ، إلاَّ فى الأقل

وسبحنَ ، يا لَلحسنِ ! كيـ ـف يغيبُ فى ماءٍ ورمل ؟!

* * *

يا قلبُ إنْ ترجعْ فـــلم ترجعْ بعـــزمٍ مُضْمَحِلّ

ما عدتَ إلا بالحيـــا ةِ ، كأنها دَفَعاتُ سَيْل !

فأرِنْ لىَ الدنيا لعـــلِّى مُبْصِرٌ أملى ، لعـــلِّى !

يا قَسْوَةَ الأيام حُـــولِى يا بَسْمَةَ الدنيا أَطِـــلِّى !

الملاك النائم *

في قطار البحر ، أو قطار الفن ، يلتقي الفنان أحياناً بصور من الجمال النادر ، وقد سعد الشاعر بإحدى هذه الصور ، أثناء عودته ذات مرة من الإسكندرية ليلا . كانت جالسة قبالته تقرأ في جريدة، حتى إذا غلبها النعاس، وسدت الرأس كفها ، واستسلمت لأحلام لعلها كانت سعيدة ، لما كان يشرق على ثغرها من ابتسام أيقظ خيال الشاعر وأوحى إليه بهذه الخواطر فإلى هذا « الملاك النائم » ، أهدى هذه القصيدة ، فهي منه وإليه .

وسَّـــدَ الرأسَ كفَّه ثم أَغْفَى　　أَتُراه من شِدَّةِ الأَيْنِ أغْفَى ؟

أم تُراه قد مال عنــه حبيبٌ　　يرتجيه فراح يلقـــاه طيفا !

أيَّ دنيا يزورهـا ؟ أيَّ حُـلْمٍ　　ذهبيٍّ في صفحة الفـكر رفَّا ؟

لستُ أدري ، لـكنَّ طيفَ ابتسامٍ　　نمَّ عن حُلمه الســعيد وشفّا

فإذا بي أرى الوداعـــة والنبـــلَ ، يزيدانه جمالا ، ولطفا !

* * *

قد نزلنـا بظـله وأخـــذنا　　نتحاشى مواقعَ اللحظِ خوفا !

فرأينا وجهاً أغـــرَّ منيراً　　وعيوناً توحي لنا الشعرَ صرفا

ورأينـا شَـعْرًا ينوء به الصد　　رُ ، وثغراً يكاد يُسْكِرُ رَشْفا

ورأينـا قـــدًّا أقبَّ مليحاً　　ونهودًا ، تحلُو ، وتجمُل قطفا

---

* القاهرة : صيف ١٩٣٨ .

ورأينا دنيا تموج من الفتـــنة فيه، وتخطفُ القلبَ خطفا!

* * *

أيهـــذا الملاكُ، يا بسمةَ اللـــه، تجلَّتْ لنا حناناً وعطفا

نَمْ قريراً لك القلوبُ مهاداً ولك الشعرُ مُبدِعًا فيك وصفا

أنت مَن يُمرض القلوبَ بعينيـــه، ومَن يجبُر القلوبَ، فتشفى

أنت تغفُو، وأنت تصْحُو فلا ترْ حَمُ قلبـــاً على الغَواية أشفى

هو قلبي يُخفى الوَلوعَ على البعـــد، وإنْ كان ما به ليس يَخْفي!

* * *

لا تُرَعْ يا ملاكُ! ما أنا إلا شاعرُ الحسنِ، يَنْشُدُ الحسنَ عَفّا

أنا لحنُ السماء يحنو على الكو ن، ويحيا بهذه الأرض ضيفا!

أنا مَن ينقُلُ الجمالَ إلى الشعـــر، ويَرْويه للمســامع عزفا

أنا مَن يعشَقُ الحياةَ ســلامًا أنا مَنْ لا يَوَدُّ في الكون ضعفا

* * *

لا تُرَعْ يا ملاكُ، إنْ راعني الحســنُ فأمْسَيْتُ حائرًا مستخَفّا

أنت أيقظتني، وأطلعتَ عينيَّ على عالمٍ من السِّر أخفى!

أنتَ أيقظتني، فأيقظتَ ناراً أوشكتْ بالفؤاد تعْصِفُ عصفا

أنت تمْضي، فلا تحسُّ بنفسٍ أنتَ خلفْتَها بصمتك لهْفَى!

لا تُرَعْ يا ملاكُ! إن فؤادي هو أنقى من النقاء، وأصفى!


من مشرق الحب
الى مغربه



الريفيــــة الطائشــــة*

أُحِبُّكِ حُبِّي للحياةِ وربما خصصتُكِ بالعطف الذي ليس ينفدُ

أراكِ فيزدادُ الفؤادُ تلهُّفاً عليكِ ويُغرِيني الجمالُ فأسجدُ

وفي البعد، لو تدرين، ما لو بَثَثْتُه لراعَكِ منــــهُ لاعجٌ يتوقَّدُ

فقربُكِ يُشجيني، وبعدُكِ قاتلي فياليت شعري، أيُّ حاليكِ يُسْعِدُ؟

تَبَسَّمتِ كالأيامِ تُقْبِلُ بالمُنَى فتبعثُ في النفس الحياةَ وتُوجِدُ

ويا ليتني أدري: أوقْفٌ لمهجتي صَــــدَى بسماتٍ طيفُها يترددُ

أم الطيشُ يُهْدِيها، وكالسِّحْرِ طيفُها، إلى كلِّ غِرٍّ ليس عُقباهُ تحمَدُ؟

***

تعالَيْ، أريني وجهَكِ السَّمْحَ علَّني أرى فيه آمالي إذِ العيشُ أنكدُ

وهَيَّا اغْمُرِيني بالحنانِ فإنني سئمتُ تحرِّيه ومازلتُ أَنْشُدُ

ورَوِّي فؤادي من حديثِكِ إنه لأُنشــــودةٌ يَشْدُو بها ويُغَرِّدُ

ولا تسألي عَمَّنْ يذُمُّ ومَن يَشِي إذا نحن أرضينا الضميرَ وندَّدُوا

***

فيا سَلْوَةَ المحزونِ قد شِبْتُ في الهوى فما طاب لي عيشٌ ولا خَفَّ مَقْصِدُ

---

* القرية: صيف ١٩٣٠.

ويارُبَّ محبوبٍ وقفتُ حياله أناجيه فى رفق فيقسو ويَجْحَدُ

فعدتُ وما بى غيرُ داءٍ مخامرٍ وغيرُ ليـــالٍ ذِكْرُها يتجددُ !

فإن تغمريني بالحنـــان فإننى لَمُوليك إخلاصاً على الدهر يَخْلُدُ

وسوف أقولُ الشعرَ فيك كأنه من الملأ الأعلى بحسنكِ يشهدُ

وإنْ تَهْجُرِى ، والهجرُ لاشك آفةٌ يُصَابُ بها الحبُّ العفيفُ فيفسُدُ ،

فيا ضيعةً للروحِ والحبِّ فى الدُّنا ويا ضيعةً للشِّعر يُجْفَى ويُزْهَدُ !

إلى هاجــــر *

يا مَن يُعنِّفنى آناً ويَعطِفني   أهواكَ أهواكَ فى سِرٍّ وإعلانِ
يا مَن يُعنفنى مهلاً فقد نجحتْ   كلُّ التجاربِ مِن بَذْلٍ وحرمانِ
هــذا الفؤادُ فنقِّبْ فى جوانحهِ   أكنتَ تلقى به ظِلاًّ لإنسان ؟
حاشا لغيركَ أن يَلقى به سكناً   وأنتَ لا زلتَ فى قلبي ووِجداني

* القرية : صيف ١٩٣٠ .

رسالة إلى قلبي *

يا فؤاداً دأبُهُ الصَّمَمُ ... ما بهذا الشملُ يلتئمُ
قد أقمتَ العمرَ تعطفهم ... بعيونِ الدمعِ ما رحموا
كلما كاشفتَهم بهوًى ... أسرفوا فى الهجر واحتكموا
علموا بالأمر فاعتسفوا ... ليتهم بالأمر ما علموا ..

* * *

ما لهذا القلبِ يذكرهم ... وقُصارَى ذكرِهم ندمُ ؟
ما لهذا القلبِ يتبعهم ... وهمُ بالعهد قد بَرِمُوا ؟
ما له من بعد أن قتلوا ... وُدَّه بالأمسِ يضطرم ؟
عجباً للقلب .. نُبصره ... فى مَجالِ الحَزْمِ ينهزم !
وعزيزٌ أنْ يُرَى أبداً ... لِلأُلَى خانُوه يحترم
ولمَن إنْ شاء أسعدُه ... ووقاهُ الموتَ يبتسم

* * *

يا فؤاداً يستطيبهمُ ... أنصفوا فى الحُب أم ظلموا
لستَ لى قلباً أدِلّ به ... إنْ تَهُنْ أو تُنسَ عندهمُ

---

* القاهرة : عام ١٩٣١

هُمْ تَمادَوْا في جفائِهمُ فلْتكنْ يا قلبُ مثلَهمُ

* * *

ما مُقامى اليومَ ، وا أسفى والأمانى البيضُ تُختَرمُ ؟

ما حياتى اليومَ فى دَعَةٍ وحياتى كلُّهـا ألمُ ؟

إنَّ نفسى فى حداثتها دبَّ فيها اليأسُ والسَّقَمُ

ليس مِن حسنٍ تَهَشُّ له كلُّ حُسْنٍ عندها عَدَمُ !

عافتِ الدنيـا وزُخرُفَها وانزوتْ بالصمتِ تعتصمُ

ولقد تبكى زمانَ رضًى لم تدُمْ فيـه لها النِّعَمُ

عَلَّلُوهَا بالمُـنَى كَذِبًا إنْ شجاها ذلك النغمُ

أَيقِظُوها طالَ رقدتُهـا واعتراها الهَمُّ والسَّأَمُ !

* * *

وَيْحَ هـذا الحسنِ نعبدُه وهو لا ينفكُّ يحتـرمُ

نُشعِرُ الدنيـا بسطوته وكأنَّا عنـده خدمُ !

نُرسِـلُ الأناتِ صامتةً والأَسَى فى الدمع مرتسمُ

وهْو لاهٍ لا يحـدثنا وهْو قاسٍ ليس يحتشم !

* * *

يا فؤاداً جَفّ أخضرهُ   واحتواهُ الشيبُ والهرَمُ !

لَهفِي كم أنتَ فى حُرَقٍ   مِن هوًى يطغَى ويزدحمُ

غائمٌ كالليل مُعْتَكِرًا   هائجٌ كالموج يلتطمُ

فتزوَّدْ لِلْهوَى أسَفاً   وانْسَ يا مسكينُ حبَّهُمُ

هُوَ حُبٌّ لو إلى صَنَمٍ   كان لبَّى حبَّنا الصَّنَمُ !

الرياء فى الحب*

لا تَزوِّقْ لىَ الـوِدادَ ودَعْنى ... حَسبُ هذا الفؤادِ ما قد أصابَهْ

أىُّ سَهمٍ لم يَقْصِدِ القلبُ حتى ... زدتَه ظالماً بما قد أذابه ؟

كلُّ خطبٍ يهون فى الحب إلا ... أن يخونَ الحبيبُ يوماً صحابه

قد ، لعمرى ، صحا الفؤادُ وأضحى ... لا يَرَى فيكَ أُنسَه أو طِلابه

* * *

يا حيـــاةَ الخداعِ : ماذا تريديـــن بِقَلْبٍ قد ملَّ منكِ الدُّعابَةْ

كلَّ يوم لنا حبيبٌ جـديدٌ ... خائنُ العهـدِ فاجعٌ أحبابَه

كم سقَيْناه صافىَ الوُدِّ صِرْفاً ... وسقانا من كأسه المرِّ صابَه

كم شَـدَوْنا بحسنه وصَبَوْنا ... وهْوَ لاهٍ عن شَدْوِنا وَالصَّبابَةْ

للذئابِ الجياعِ منه جَنـاهُ ... ولنـا منه أن نذوقَ عـذابه !

* * *

أَلِغَيْرِى وقد رعيتُ صِبـاهُ ... ونَضـاَ الشـعرُ فوقَه جلبابَهْ

يَبْذُلُ الحسنَ طائعاً وهو يدرى ... أنه مُرْجِعى لعهـدِ الـكآبَةْ ؟

أيُّهـــذا المزوقُ الودّ مَهْلاً ... لا تـكنْ قطُّ بالهوى تَلْعابَةْ

---

* القاهرة : عام ١٩٣١

ليس هـذا الجمالُ حقَّك دونى　　فارْعَ للشـعرِ حقَّه وجنابَه
كان هذا الجمالُ سرًّا مَصُـونا　　فكشفنا بالشِّعر عنه حجابه
وجَـلَوْناهُ للعيون جَمالا　　شاعرياً يجِلُّ عن أن يُشـاَبه
كان حقُّ الوفاء ألا تُرِينـا　　خُلُقاً لم نكنْ حسَبنا حِسابَهْ

* * *

أجـزاءُ الذى اصطفاكَ وأَفْنَى　　فيكَ ، لو تدرى ، عمرَهُ وشبابَهْ
ورأى مِن صفاء حُسْنِكَ رَوْضاً　　يَبْهَرُ الشـعرَ ظلُّه فاستطابه
أن تجازيهِ بالخيانة غَـدْرًا　　ثم تُهـدِى إلى الذئاب ثيابه ؟
ليتَ لى مثلَهم فـؤاداً غليظاً　　يَعْشَقُ الفَتْكَ والدماءَ المُذابةْ !
لفتَكْنا كفَتْكِهم وانتقمنا　　فى أناشـيدَ كلُّها خـلّابة
بعضهـا يُطربُ الفؤادَ ، وبعضٌ　　كنتَ تَرْجـو دُنوَّه واقترابه
بيَدِى قد خَلقتُ حُسْنَك جَهْلاً　　وبِها كنتُ مَن أراد ذَهابَهْ !

عهـــد جـــديد *

وكالأملِ المحبوبِ وجهُكِ حينما   تطالعنى منه العيونُ النواعسُ

هو الصبحُ ، لولا أنَّ بالصبحِ حاجةً   إلى شاعرٍ تَهْفُو إليه المرائس

* * *

قفى يا رجاءَ القلبِ وقفةَ مُشْفِقٍ   لينعمَ محرومٌ ويسعدَ بائسُ

قفى قاسمينى العبءَ فالعبءُ مرهقٌ   ألا والْمَسِى فى الحب ما أنا لامس

فما أنا مَن ودَّ الهوى وأراده   ولكنه طَرْفٌ هناك يُخَالِسُ

وقفتُ على هذى العيونِ عواطفى   وإنى عليها ما حييتُ لَحَابِسُ

* * *

لكِ اللهُ لا تنأىْ : فما لىَ مَطمحٌ   سواكِ ، ولا لى فى هواكِ مُؤَانِسُ

أُحِبُّ فيسمو بى العفافُ إلى الذُّرَى   ويرفعنى أنى على الْحُسْنِ حارسُ !

أظلُّ به أشدو وما كنتُ شادياً   ولكننى من ذلك النورِ قابسُ

* * *

فدَيْتُكِ لا أقوى على الحب صامتا   يُزايلنى فيه الجوَى ويلابسُ

هو الشكُّ مجنوناً ، هو اليأسُ طاغياً   هو الموتُ يَرْنُو ، وهو غضبانُ عابسُ

---

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

فيا سلوةَ القلبِ المَهيضِ رجاؤُه ... حنانيكِ : إنى من حياتىَ يائسُ

فقدتُ أمانىَّ الوِضاءَ ، وعقَّنى ... رِفاقٌ ، وَدَهْرٌ لا يزالُ يشاكسُ

وإمَّا اذلهَمَّ الليلُ واشتدَّ هَوْلُه ... تساوِرنى ، أوَّاهُ ، فيكِ الهواجسُ

ويا ربما تغفو القلوبُ قريرةً ... عشيةَ هذا القلبُ يقظانُ ناعسُ

فلا هُوَ ، كالأحياءِ ، بالعيش ناعمٌ ... ولا هُوَ ، كالموتى ، يُداويهِ رامسُ

* * *

هَبِى لى على الأيام لذةَ طامعٍ ... ومَجْلِسَ بَثٍّ ما احْتَوتْهُ مَجالسُ

وَطَرْفاً يُشِعُّ الحبَّ أبيضَ صافياً ... فتدنو به السَّلْوَى وتنأى الوساوسُ

وثغْرًا أُحَيِّيهِ ، وأَحْيَا بِبَرْدِهِ ... يُنافِسُنى فيه الهوَى وأُنافِسُ

فكالأملِ المحبوبِ ثُغْرُكِ حينما ... تُقَرِّبنى منه الشِّفاهُ الهوامِسُ !

مناجاة *

هَمَّ هذا الفؤادِ أن تُسعديهِ

بعد ما كان مِن دلالٍ وتيهِ

إن يكنْ باح بالهوى رغمَ ضنى		فاتقى اللهَ فى الهوى ثم فيهِ

وبوُدِّى ألّا يبوحَ ، ولكنْ		كيف يُخفيه والجوَى يُبديهِ ؟

أشعريني بأنى بعدُ حىٌّ		وكذا القلبُ بالهوى أشعريه

وارْمُقيه بنظرةٍ منكِ تحييه ،		فماذا عليكِ أن ترمُقيه ؟

صاحبٌ فى الضلوع نازعه الشوقُ ،		فلا تهجُريه أو تقطعيه

فكلا الهجرِ والقطيعةِ داءٌ		أكبرُ الظن أنه يُرديه !

---

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

حين الفـــراق*

لا تحسَبوا البُعدَ يُنسيني مودتَكم — هيهات هيهات أنْ تُنسى على الزمن

فليهدإِ الآن قلبٌ كان وا أسفى — كالطير حيرانَ : من غصن إلى فنن

ألا ليالىَ بيضًـا كالتى سلفت — أنسى بها كلَّ ماعانيتُ من محنِ ؟

أصبحتِ لى وطنًا أزهو بنسبتِه — على الأنام ، ألا بوركتِ يا وطنى !

إهـــداء صورة*

هـذه صورتى علاها اكتئابٌ ،

فانظريهـا ترَىْ مُحيًا كئيبا !

مَسَّها السُّقْمُ فى ربيعِ شبابٍ ،

فاستحال الشبابُ منه شحوبا

تعـرف الماضىَ العزيزَ علينـا ،

فاسأليها . . . لعلهـا أن تُجيبا . . . !

واحفظيها . . فقد تُؤسّيكِ يومًا ،

عندما يفقِد الحبيبُ الحبيبا !

---

* الغربة : عام ١٩٣٢ .

الطـــائر المتنقل*

لا تُراعى إن حطَّ طائرُكِ الحرُّ على غيرِ روضِـــهِ أو غصنهْ

أو تخافى إن راح يهتف بالأسـ ـماء فى كل مُطربٍ من لحنه

أنتِ أنتِ التى يلوذُ بها الطا ئرُ فى صفوهِ وساعاتِ حزنه

فدعيه يَطرْ يُغَـــرِّدُ للحُسْـ ـنِ ؛ فأنتِ المرجوُّ من كلِّ فنّهْ

لا ترومى تقييدَه يسأمِ الأسـ ـرَ ويَلْقَ العذابَ فى ليلِ سجنهْ ؟!

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٢

العاتبة*

حنانيكِ : بعضَ اللومِ والعتْبِ إنما　　أنا الشاعرُ الجوّالُ فى الأرض والسما

أنا الشاعرُ المشغوفُ بالزهر عابقاً　　وبالروض مطلولاً وبالطير حُوَّما

أنا الشاعر المشغوفُ بالحسن أجتلي　　روائعَــه أنَّى حللتُ وحيثما . .

يطير عليه القلبُ فى كل مَشهدٍ　　ويهفو إليـــه هازجاً مترنما

فما أنا مِن قلبي بمالك أمرهِ　　ولا أنا إن محّضْتُه النصحَ أسلما

ولكنه قلبٌ يعيش لغيره　　وكم مرةٍ عاتبتُــه فتبرَّما !

أيأثَم هذا القلبُ إذ هو رافعى　　إلى عالمٍ أبهى وأسنى وأعظما ؟

لئن كان فى تقديسىَ الحسن مأثمٌ　　يُظَنُّ فإنى لا أرى فيه مأثما !

* * *

أعيذُكِ أن ترضَىْ له القيدَ ؛ إننى　　أرى القيدَ موتاً للنبوغ مجسَّما !

وما الشاعرُ الموهوبُ بالشاعر الذى　　يُطيقُ حياةَ الأسرِ صاَباً وعلقما

دعيه يَطِرْ فى الكون يُسعدُ بائساً　　ويُفرحُ محزوناً ويوقظ نوَّما

دعيــه يغرِّدْ للجمال على المدى　　أغاريدَ ما أندى وأحلى وأنعما !

فما الخلدُ إلا ما يصـــوِّرُه لنا　　وما السِّحرُ إلا ما يرجِّع مُبهَما !

* * *

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٢ .

وعاتبةٍ غيرَى تقول وقلبُهـــا		من اللوعةِ الحرَّى يخال جهنما :
أجِدَّكَ لا تنفكُّ تذكرُ غيرَنا		وتنسَى التى أوْلَتك حُبًّا وأنعُما ؟
عَدَتْكَ العوادى . كيف، بالله، لم تَعُدْ		تحنُّ إلينا بعد ما كنتَ مُغرَما ؟
لكَ اللهُ ! كم تقسو ، ولم تدر أننى		«ضعفتُ وكاد القلبُ أن يتحطما» !
فقلتُ لها أحببْ بعَتْبكِ قاسيا		وحُبّكِ مكبوحا وشِعرك قيِّما
هو الفنُّ يدعونى إليه بسحرهِ		وهيهات أن ألقَى أصمَّ وأبكما

* * *

ألاَ جنبيني العتْبَ ، فالعتبُ آفةٌ		تُصَيِّرُ صرحَ الودِّ رَبعاً مُهدَّما
ولا تحسَبيني قد نسِيتُ شقاوتى		وأصبحتُ أحيا فى الحياة منعّما
فما أبعثُ الأشعارَ إلّا زرايةً		وما أرســـل الأنغامَ إلّا تهكُّما
مِن العيش مذموماً ، من الحظ عابساً		من الصحب ختّالاً ، من الدهر مجرما !

* * *

لك الحبُّ منى ما حييتُ، وإن تكن		حياتِىَ ما أشقى وأقسى وآلما !

ديار الأحبـــاب*

أنعشتْنا روائحٌ من ديارٍ كم حننّا لها وللساكنيها
يا ديارَ الأحبابِ أهلاً وسهلاً مِن غريبٍ عنها، وإن كان فيها !

* فى الطريق من ميت غمر إلى القاهرة : عام ١٩٣٢ .

زورق النـــور *

يا قلبُ ماذا جَدَّ بعـــد المتابْ — يا قلبُ حتى عُدَّتَ بى للعذابْ ؟ !

اليـــوم تُغرينى بجمر اللظى — وبالذى ما كان لى فى حسابْ

يا حسنَها مِن طلعةٍ لم تكد — تدعو قديمَ الشوقِ حتى استجاب

أَرْنُو وترنو فى اختــلاس ! فيا — قلبى : أأحببتَ ؟ أيا للمصاب !

مَن ينصحُ القلبَ بأن يَرْعَوِى — عن غيِّه فى السعى خلفَ السراب؟!

مَن ينصــحُ القلبَ الذى كلما — ناديتُه أَغضَى وعاف الخطاب ؟ !

* * *

يا ربةَ الحسنِ الذى هـــزَّنى — إشراقُه فى رَوْعـــة واجتذاب

ماذا دعانى للهوى بعـــد ما — أهَلْتُ بالأمس عليه التراب ؟

سعيرُه المشبوبُ فى أضلُعى ؟ — أم شكُّه يفعل فعلَ الحراب ؟

أم هجرُه أظلَّ فيـــه المدى — كأننى فى عزلة واغـــتراب ؟

لعـــلَّه الشـــوقُ إلى نُوره — ورَوْضِه المشوشبِ المستطاب !

* * *

يا أيهـا النـــورُ الذى شِمْتُه — فى خاطرى ينسابُ أىَّ انسيابْ

بدِّدْ ظلامَ النفسِ من أفقهـــا — وقُدْ زِمامَ الروحِ نحوَ العُباب

---

* الغربة : عام ١٩٢٣ .

وقِفْ على الشاطئ أو سِرْ بها في ذلك اليمِّ الفسيح الرحابْ
ياما أُحيلى نسماتِ الهوى تعطِّرُ القلبَ بريّا الشباب !

* * *

يا عالمَ الوحشةِ ! لا مرحبًا يا عالمَ القيدِ ودنيا الصعاب !
جشَّمتَنى ما ليس فى طاقتى من دمعىَ الغالى وقلبى المذاب
وموكبُ الأحلامِ هذا الذى أَلِفْتُه من كل خَوْدٍ كَعاب
ألستَ يا ظالمُ مَن ردَّهُ فى حيرةِ الذاهلِ وسْطَ الشعاب
يا عالمَ القيدِ : وداعًا فما عدتُ أُطيق العيشَ رهنَ اكتئاب !

* * *

يا زورقَ النورِ : إلى جنتى طِرْ بى على الأمواجِ طيرَ العُقاب
وأطلِقِ البشرى ، عسى أن أرى أسوارَها مِن خلف هذا الضباب
قد شفَّنى الشوقُ لِوَكرِ المُنى وما به مِن كل مَرأًى عُجاب !

* * *

ها قد بلغناها ! فغنِّى لنا يا ربةَ الألحانِ لحنَ المآبْ
يا فرحتى بالنور ! يا فرحتى ! ويا نعيمَ القلبِ بعدَ العذاب !

* * *

ها قد بلغناها وطفنا بها ! فاستقبلتْنا الذكرياتُ العِذاب
فيا رثيثَ الشوقِ : هاكَ الشَّذَى ويا ظُماءَ الروحِ : هاكَ الشراب !

النجـــوى*

هل تنظرين لمغرمٍ صبٍّ ... يرجو ويأملُ نعمةَ القربِ ؟
أيقظتِه مِن بعـد غفوتِه ... وأثرتِ فيه دواعيَ الحُبِّ
وتركتِه من بعد هدأته ... حيرانَ من جنبٍ إلى جنب !
إني لألمح منـــكِ عاطفةً ... مشبوبةً في البعد والقرب
ويهزّني شـوقاً ، ويأسرني ... سحرٌ يموجُ بصوتك العذب

* * *

ما هـــذه النظراتُ حالمةً ... تسري مهوِّمةً إلى قلبي ؟
ما هـــذه الأنوارُ مشرقةً ... تُزري بنور الشمس والشهْب ؟
ما هـذه القاماتُ صاعدةً ... كالغصن ماسَ، ومال من عُجْب ؟
ما هـذه الدنيا التي سَفرتْ ... في طلعـــةٍ فتّانةٍ تَسبي ؟
إني لأصبو ثم تزجرني ... عما أريدُ بواكرُ الشيب.. !

* * *

هذا الفؤاد وقد نزلتِ به ... قد ملّ طولَ الهجر والعتْبِ
فاحنِي عليه ؛ فقد غدا غَرَضاً ... أعيا الأُساةَ وحيلةَ الطب !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٣ .

وتعهّـــديه بكل عاطفةٍ تُنسيه ما عاناه من خَطْبِ

ماذا عليكِ إذا شَفِقْتِ به وقتلتِ فيه بوادرَ الرَّيْب ؟

وجعلتِه فرِحانَ مبتهجاً طلقَ المحيَّا دائمَ الوثب ؟

وسفَرتِ عن أملٍ له نَضِرٍ ملَّ الثواءَ بحَوْمَة الغيْب ؟

إنْ تأخذي بيديَّ مرحمةً فلأنتِ من بين الورَى حسبي!

ربة الحسن *

يا ربةَ الحسن: هل لى فيكِ من أمل ؟ إنى هُجِرتُ ، وكلُّ الناس عادانى

أدورُ حولى فلا ألقى سوى زُمرٍ من الوحوش بدتْ فى زىِّ إنسان !

وأقطع العمرَ رهنَ القيدِ منفرداً لا خلَّ يذكرنى ، لا قلبَ يرعانى

حتامَ أبقى على الأيام مرتخَصاً ؟ حتام يُنكرنى حظى ويَقْلانى ؟

يا ربة الحسن : فيكِ الآن مُطَّلبى وفيك ما أرتجى من عيشىَ الفانى

فجددى القلبَ بالآمال مشرقةً وأشعرينى الرضا من قلبك الحانى

---

* القرية : عام ١٩٣٣

الطيف الزائر*

هفا والليـــلُ ممتدٌّ فأيقظ جفنىَ الساهى
ومال عـلىَّ فى صمتٍ فعانقَ جسمىَ الواهى

* * *

وألقى رأسَـه شوقاً على صدرى كمَن أغفى !
أبالإغفـاء تقتلنى وتخطَف مهجتى خطفا ؟

* * *

تحدَّثْ أيها الطيفُ فقد أحدثْتَ لى شجنا
نزلتَ اليوم فى وطنٍ هجرتَ ربوعَه زمنا !

* * *

تحدثْ وابتَدِعْ لحناً يهدِّئُ ثورةَ القلبِ
ويملأُ خاطرى أملًا ويُقدرُنى على الحبِّ

* * *

حبيبَ القلبِ والنفسِ أتذكر ليلةَ البدرِ ؟
عشيةَ كنتَ تبهرُنى بكلِّ روائعِ السحرِ ؟

* * *

* القربة : صيف ١٩٢٣ .

أتذكر أنـــا كنا   نسير هناك فى الوادى
يحادث بعضُنا بعضا   برغم الرائح الغادى ؟

* * *

وكم مِن مجلس عبِقٍ   أقمنـــاه على الشاطئ !
ونُوســـع ماءه عبثاً   فيضحك موجُه الهادئ !

* * *

أتذكر ؟ لا ، فما الذكرى   برجعةٍ لمـــا فاتـــا
رجاءٍ كنت أنشُــدهُ   وأزعم أنـــه ماتا !

* * *

وكيف ذكرتَ مُغْترِباً   بَرَاهُ الشوقُ واللهفُ ؟
أجئتَ تعــودهُ أم جئـــتَ تُضْنيه وتنصرفُ ؟

* * *

أفِقْ يا طيفَ من أهوى   أفق فالنومُ قد طالا !
أتغفـــو ثم تتركنى   أعانى منك أهوالا ؟

* * *

صحـــا والفجرُ يرمُقنا   بطرفٍ نائمٍ صــاحِ
وودَّعَنا على ظمـــأ   لحسنٍ فيـــه وَضّاحِ

* * *

ضلالٌ هـــذه الدنيا تفرِّقنـــا ، وتجمعنا !
وتُدنينا ، وتُبعـــدنا وتُغرينا ، وتَفجعنا !

* * *

فليتَ الحبَّ يُســعدنا فنلقَى عنـــده الأمْنا
ولـكن أين ما نرجو وكلُّ سعادةٍ تفـــنى؟ !

جموح قلب*

إلامَ يا قلبُ تَسْتَبْقِي مودتَهمْ   وقد أذاقُوكَ ألوانًا مِن الوَصَبِ ؟

وكم تحنُّ إليهم غيرَ مُكترثٍ   بما تلاقيه من صدٍّ ومن غضبٍ ؟

تظل تسعى مدى الأيامِ تطلبهم   والعمرُ يذهبُ بين السعيِ والطلبِ

ياقلبُ حسبك ماقد ذقتَ من حُرَقٍ   يا قلبُ حسبك ما قد نِلتَ من تعبِ

ماذا عليكَ إذا ما عشتَ منفرداً   وغبتَ عن كلِّ مرجُوٍّ ومرتقَبِ ؟

* القرية : عام ١٩٣٣ .

دعـــاء . . . ! (*)

يا ربةَ الوطنِ القصيِّ النـائى   هَلّا أصخْتِ لصرختى ودعائى ؟
ذكراكِ لا تنفكُّ تملأ خاطرى   وتهيج منى ساكنَ الأهواء
أما الجفاء فقـد تطاول عهدُه   ولقيتُ فيه ، وما أردتُ ، شقائى
أهواكِ من قلبى وكلِّ جوارحى   وعواطفى ، يا جنـةَ الشعراء
وأبيـع أيامى بأيسرِ لحظةٍ   ألقاكِ فيهـا تؤثرين لقائى
تلك السعادةُ ، لا سعادةَ بعدها   لمعذَّبٍ . . . طاوٍ على البُرَحاء !

* * *

هل تذكرين ليالياً كنا بهـا   فى نجوةٍ عن أعينِ الرقباء ؟
فى كل مُنْعَطفٍ وشاطئِ جدولٍ   أثرٌ يُحَدِّثُ عنكِ بالإيمـاء
وعلى الحدائق من جمالك صورةٌ   لمّا تزلْ فى بهجـةٍ ورُواء
تتعاقب الأيامُ وهْىَ كعهدِها   تَسْبِى وتُغرى كلَّ طرفٍ راء

* * *

ونأيتِ ! يا للهِ من أثرِ النوى   فى مغرم يهفو لطيف لقـاء !
خلَّفته يشتاقُ منـكِ شمائلاً   رفَّتْ رفيفَ العطرِ والأنداء

(*) القرية : عام ١٩٣٣ .

لا يستريح ، ولا يُريح ! فياله صَبًّا غدَا فى محنـــةٍ وبلاءِ !

يرعى النجومَ طوالعاً وغواربًا ويبيت يقرعُ صخرةَ الظلماء

ويودُّ لو يحظى بطيفكِ فى الكرى فيردّ عنه السُّهدُ كلَّ رجاء !

* * *

هل ترحمين القلبَ طال عناؤه فأراكِ راعيةً عهودَ وفائى ؟

أم سوف أقضى العمرَ أندُبُ مامضى فى لوعةٍ مجنـــونةٍ وبكاء ؟

* * *

داءٌ أصبتِ به الفؤادَ ! ولم أزل أبغى الشفاءَ ، ولاتَ حينَ شفائى!

في السَّحَر *

قال لي طيفُكِ : ماذا ؟ لِمَ تَمُدْ دائمَ اللهفةِ والشوقِ وَلوعا !
أصحا قلبكَ عنـا ؟ أم نفدْ زمنٌ كُنَّا به الدنيا جميعا !

* * *

أ كذا الأيامُ والأحداثُ تُنسِي في اقتدارٍ كلَّ ذي إلفٍ أليفَهْ ؟
واللَّجوجُ الدائمُ التَّحنانِ تُمسِي تُنكرُ النفسُ على البرءِ وجيفَهْ ؟

* * *

أين شِعْرٌ كان يَسْرِي كالشعاعْ يملأُ الخاطرَ نوراً وجمالا ؟
كان يَلْحَاهُ ، ولكن في اصطناعْ ليَزيدَ الحبَّ وَقُدًا واشتعالا !

* * *

عجباً يُضنيكَ بالصمتِ الطويلْ ثم تلقاهُ بشوشاً مَرِحا !
ولقد يعلم ما سرُّ الذهولْ ثم لا يَرْثي لقلبٍ جُرِحا !

* * *

ذلك الصمتُ الذي أنتَ عليه أيقظ الشكَّ قوياً فبكى
أملاً كنتَ ندياً في يديه ثم أنكرتَ يديه فاشتكى !

* * *

---

* القرية : عام ١٩٢٣ .

حائرٌ يهوَى ، ولـكن لا يَبِينْ ما أُشقَّ الحبَّ إنْ ظلَّ جنينا !
وإذا لجّ به الُحبُّ الـكمينْ قال : عِشْ فى ظلمة الغيبِ سجينا !

* * *

وإذا ما وحشـــةُ الليلِ سرتْ فى البرايا واحتواهُ المضـــجعُ
غلب الوجدُ عليـــه ومشَتْ فى حَنايا القلبِ نارٌ تلذع !

* * *

يتمنّاكَ ولـكن يالهـــا حــــيرةً تَطغى على ما يتمنى !
كلما همَّ بشـــكوى غالهـا كبرياءٌ فيـــه لا تألوه ضَنَّا

* * *

أفلَا رجعةَ من بعـد انقطاع أفلَا ذكرى إلى عهد الأمانى ؟
ذاكَ عهدٌ بات فى كفّ الضياع فَاْحمِهِ ، إنْشئتَ ، مِن كيد الزمان

* * *

أيهـذا الطيفُ ياصِنْوَ فؤادى يا صدَى الصوتِ الذى كان ندياً
كم أقمتُ الليلَ موصولَ السهادِ أطلبُ النـــومَ فيأباه عليًا !

* * *

كم رجوتُ القربَ أروى ظمئى وأريحُ القلبَ فى ظلِّ حبيبى !
بحديثٍ منه يجلو صـــدئى ثم لم أسعدْ به يومًا مُجيبى !

* * *

والعتابُ المرُّ ! يا هَوْلَ العتابْ   إن أَبُحْ بالحُبِّ أو ألفِظْ بهِ !
ما حياتى فى اضطرابٍ وعذابْ   من كثير العَتْب ، بل من حُبِّهِ ؟

* * *

كنتُ أحجوهُ إذا الهمُّ طغى   يَنْسَخُ الهمَّ بصفوٍ شاملِ
فأبى الصفوَ لقلبى ، وابتغى   أن أعيش العمرَ عيشَ الثاكِلِ !

* * *

فأنا اليومَ أُوارِى أملى   بعد ما كان سنِيًّا كالضياء
وأعيش الوقتَ رهنَ المنزل   عيشة المفجوعِ فى كلِّ رجاء

* * *

أيهذا الطيفُ : لا تبرحْ مُقيما   إنكَ الذكرى لعهدٍ داثرِ
آه كم هِمْنا ! وكم كنا قديما   نُطْرِبُ الحُبَّ بشدْوٍ ساحرِ !

عواطف مكبوحة*

وَأُرِيدُ لو أُفْضِي له بمواجعي ... فيَصُدُّني خوفُ العتاب اللاذع
أبداً أهيمُ به وأُخفِي لوعتي ... كي يطمئنَّ ! وليس ذاك بنافعي
ويدى تنازعنى اليراعةَ ، يا يدى ... كم مرةٍ سالت عليكِ مصارعى !
أشكو الحياة، ولم أُرِدْ شكوى الهوى ... فيثورُ من شكوى الفؤاد الجازع

* * *

مالى وللحب الذى لا ينثنى ... يطغى علىّ بموجه المتدافع
فى كل يومٍ لوعةٌ مجنونةٌ ... وهوًى يَشُبُّ سعيرُه بأضالعى
فإلامَ أخضع كالأنامِ . . . أنا الذى ... ما كنتُ يومًا فى الحياة بخاضع ؟
يا ليت مَن أغْرَى الفؤادَ بحبه ... جعل الرضى حظَّ المحبِّ القانع !

* * *

آهٍ له من صاحبٍ متمنعٍ ... أتراه يعشَق أن يظل منازعى ؟
حتّامَ أُوليه المحبةَ والرضا ... ويُطِيلُ فى لومى ويُوقظ هاجعى ؟
وأصوغُ فيه الشعرَ وحياً ناطقاً ... فيردَّ أشعارى وكلَّ روائعى ؟
أأظل أحيا العمرَ بين وساوسٍ ... وحشاشةٍ حَرَّى وطَرْفٍ دامع ؟

---

* القرية : عام ١٩٣٣ .

دنيا من الحب العفيفِ رجَوْتُها فإذا الرَّدَى طيُّ الرجاءِ الخادعِ !

* * *

يا قلبُ : شأنَك والهمودَ وعيشةً تنسى بها خُدَعَ الجمالِ الرائعِ
واقتلْ حنانك بل عواطفَك التى كانت لَحَيْنِك كالحِمام الواقعِ
وإذا يَهيجُكَ للهوى فاهتفْ به : يا طالما رفَّتْ عليك مدامعى
قرَّبتَ لى بالأمس أسبابَ الهوى حتى غَويتُ ولم أجدك مشايعى
واليوم أقطعها ، وحسبكَ شِقوةً أنْ كنتَ أنتَ إلى القطيعة دافعى!

إليها

أنائمةٌ أنتِ أم ساهرةْ ؟ وناسيةٌ أنتِ أم ذاكرةْ ؟

وعندكِ أنى سليبُ الرقاد تغالبنى مُهجةٌ حائرةْ ؟

وقلبٌ يحنُّ حنينَ الغريب ويهفو لطلعتكِ الباهرةْ ؟

أجيبى فإنى قليلُ الهجوع كثيرُ الوساوس يا ساحرةْ

وكيف تنامين ملءَ الجفونِ وأسهرُ لم تَغْتَمِضْ ناظرةْ ؟

* * *

وليلٍ من الوجد لم تألفيه أناجى به روحك الطاهرةْ

وأهمِسُ بالحب فى رِعْشةٍ وأدعوك فى لهفةٍ ظاهرةْ

فلا تسمعين دُعاء الفؤاد ولا تفهمين له خاطرةْ !

كأنك لم تُفصحى عن هواكِ بيسمتكِ الحلوة الطافرةْ !

ووجهك هذا العفيفِ طغتْ عليه عواطفكِ الفائرةْ !

ولم تبعثى القلبَ بعد الهمودِ وتُحيي عزيمته الخائرةْ !

* * *

تعالَىْ فقلبي كقلب الجديبِ يحنُّ إلى الدِّيمةِ[1] الماطرةْ !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

(١) السحابة .

تعالىْ فنفسى برغم الهـدوء عليك غـدتْ أبداً طائرةْ !
تعالىْ نرتلْ نشـيدَ السماء ونصغِ لنغْمته الساحرةْ !
تعالىْ نعشْ كخفاف الطيـور من الشط للروضـة العامرةْ !
تعالىْ نَهِمْ فوق وشْيِ الرياض ونَهْفُ مع النَّسْمة العابرةْ !
تعالىْ لندركَ سرَّ الخلـود بعيداً عن الأعين الناظرةْ
تعالىْ لأطفئ نار الحنين بأنفاسك الرطـبة العاطرةْ
وأنسى بقربكِ عهـدَ الشقاء وعهـدَ ليالٍ مضت جائرةْ
وعهدَ أمانٍ ثوَتْ فى الربيع فأبقت لنـا لوعـةً غائرةْ
تعالىْ وخلِّى الحيـاة تهيج وتطغَى بأمواجها الزاخـرةْ
وكيف أخاف صراعَ الحياة وأنت معى قـدرة قادرةْ ؟!

***

لأىِّ المعـانى وأىِّ السِّمات تُجَنُّ بكِ المهجةُ السَّاعرةْ ؟
لوجهكِ ! يا لجَمـال الوجوه كأنى به روضـةٌ زاهرةْ !
لقلبك ؟ يا لنَقـاء القلوب كأنى به النيـةُ الطاهرةْ !
لنفسك ؟ يا لَسُمُوِّ النفوس كأنى بها خُلِقَتْ شاعرةْ !
أحبكِ أنت ! فأنت الحياةُ وأنت مُنَى نفسىَ الحائرةْ !

اطلــــعي*

اطلُعي فالطرفُ ظمـآنُ إلى طلعةٍ كالصبح ، موفورَ الضياء

اطلُعي فالقلبُ هيمانُ إلى بســمةٍ تُحيي به ميْتَ الرجاء

اطلُعي فالـكونُ إمَّا تطلُعي تُشرقِ الغبطةُ فيه والرضاء !

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

أيـــن أنت ؟*

أين أنتِ الآن يا من قيَّدَتْنى بهواها ، ثم غابتْ عن عيونى ؟
أين أنتِ الآن يا صاحبــتى أين أنت الآن ؟ قد طال حنينى !
أنا فى القيــــد أعانى ثِقْلَه مُسْتَتِراً فى غيابات السجون !
وطأةُ القيدِ أقضَّتْ مضجعى ظلمةُ الغيب أعادتْ لى شجونى
أيها الأحرارُ : ما أسعدكم ! لا تبالون بقيـدٍ أو سجين !
وأنا فى القيد أبـكى وَحدتى أطلبُ النجدةَ مِن غير معين !

***

أين أنت الآن يا شمسَ الضحى يا رجاءَ القلب ، يا أنسَ الحزين !
أنا أهواكِ وأهوى طلعــةً تأسِرُ الطَّرْفَ وتُغرى بالفتون
خفِفى القيـدَ رويداً تؤجَرى ودعينى أسترحْ منه دعينى !
آه لو أدنيتِ لى مُطَّلَــبِى آه لو ألقاكِ فى طَوْعِ يمينى
آه لو واسيتِ قلبى بعــدما أذبلتْ آمالَه ريحُ السنين !
كنتِ أنتِ المطلبَ المرْجُوَّ من عالَمٍ ساءتْ بمن فيه ظنونى !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

البعث*

قَبَّلَ الآمالَ صَبٌّ قَبَّلكْ | واهتدى للخلد قلبٌ غازلكْ
أيُّ دنيا من فتون ورؤًى | أنتِ إذ تَدْنِين منى يا « مَلَك » ؟
وجهُكِ الليلةَ فى إشراقهِ | قد أرانى الصبحَ فى جوف الحلك
وبعينيك على لطفهما | أسهمٌ مَن تبغه يوماً هلك
وعلى ثغرك أطيافُ المنى | توقظ الفرحةَ والأشواقَ لك
ظلِّلى الليلةَ صَبًّا طالما | بأفانين هواهُ ظلَّلك . .
لا ومَن أودعك اللطفَ ومَن | فى شَغاف القلبِ منى أنزلك
لست ، كالناس ، رياءً ، إنما | أنت لو تدرين فى الدنيا ملَك
يَنْظِمُ الأحلامَ فى موكبه | ويُرينا كلَّ حُلمٍ فى فلك !

* * *

لا تقولى : الوقتُ قد طال بنا | أنا عما ذُقته لن أسألك !
الصدى[1] قد أتلف القلبَ الصدى | فهلمى أورديه منهلك !
لا تُطيلى الصمت تعظمْ لهفتى | واطمئنى لن تَرَيْنى مُثقِلَك !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

(١) شدة الظمأ والشوق .

وابْسِمِى لى ، أوَ حتى بسمةٌ   منكِ لا أحظى بها ؟ ما أبخلك !

* * *

موئلَ المطلوبِ من أيامه   لا تضـــنى وامنحينى موئلك

فيكِ لى بعثٌ أجلْ ! يا فرحتى   بك يا روح الأمانى يا « ملك » !

فدعينى ألثُمِ الأضــواء ، بل   ألثم الطهرَ الذى قد جمــلك

نحن فى الخلد هنـا نحيا معاً   فهبينى خـــيرَ ما قد يُعتلَك

دميةٌ أنت ؟ أجـل ! مرسَلةٌ   بالهدى ، جلَّ الذى قد أرسلك !

* * *

يا رجاءَ القلب ، يا طيفَ المنى   نوِّلى الليـــلةَ قلباً نوّلك

أدَنا الموعـــدُ يا صاحبتى   وغـدا أمر التنائى شاغلك ؟

أدَنا حقـا ؟ لقـــد أذهلنى   هولُه البادى ؛ كما قد أذهلك !

ســاعةَ الخـلد : ألَا ما أعجلَك !   ليلةَ البين : ألَا ما أطولَك !

الشمس الجديدة *

مِن وراء الغيبِ فى دنيا الظلامْ أشرقتْ شمسٌ على الكون جديدةْ
أشرقتْ تخطَفُ أبصارَ الأنامْ وتُغنّيهم بأحــلامٍ سعيدةْ !

* * *

لم يَصُغْها اللهُ إلا من رجاءْ وحنانٍ وخيــالٍ عبقرىّ
كلّ مَن مَسّتْهُ فى الكون أضاء وتجلّتْ فيــه آياتُ النبىّ !

* * *

فُتِنَ الناسُ بها من كل جنسِ فإذا هُمْ أوشكوا أن يعبدوها
أسعدتْهم بعــد إيحاش بأنس وهى لا تطمع فى أن يُسعدوها

* * *

وتجلّى النـورُ فى الأفْقِ البعيدْ فتلفتُّ أرى مَن صــاحبهْ
فإذا الفرحةُ تَسْرِى فى الوجــودْ وإذا النورُ تعــالَى واهبه !

* * *

كنتُ فى داجٍ من الوحشةِ أحيَا ثم لاحتْ لى على غـيرِ انتظارْ

---

* القرية : عام ١٩٣٤ .

فأرتنِي الغيبَ إلهاماً ووحيـا   وحبتْنِي الأنسَ يحـدوه الوقار

* * *

وقفتْ بى لحظةً كالحالمـةْ   ثم راحتْ تسألُ الغيبَ الضنين
ليتنى أدرى ، أروحٌ هاءمـةْ   ذلك الإنسىُّ ، أم ماذا يكون ؟ !

* * *

مَن ترُى أنتَ ؟ وماذا يشغَلُكْ   أيها الماكثُ فى الغيب الرهيبْ ؟
إيه حدِّثنى ، فقلبى يشـملك   بالحنان الجمِّ ، والعطف الخصيب !

* * *

لا ترُاعى : أنا مَن عاش حياتَهْ   فى ارتجال البِشْرِ للعانى الطليحْ
أنا مَن يُفنى لوجه الخير ذاتَهَ   ويواسى كلَّ منكوب جريح !

* * *

أنا مَن يهتِفُ بالحسْن الفريدْ   ويردُّ القفـرَ دنيا آهـلةْ
أنا مَن يعـزِف ألحانَ الخلودْ   فإذا الغِبطـةُ تَسْرِى شاملةْ

* * *

أنا ، لو تدرين ، صوّاغُ المنى   بائعُ الأحـلامِ فى دنيا الأنامْ
أرسلتنى حكمـةُ اللهِ هنا   رحمةً منـه ، وبُشْرَى للسلامْ

* * *

بيـــد أنى ضِقْتُ بالغيب مُقاما　　وسئمتُ القومَ قد عاشوا فُرادى
كلمـــــا صحتُ بهم أبغى وئاما　　أوغلوا فى الذل جهلا وعنادا . . !

* * *

وأرانى الآن قد أُنسيتُ نفسى　　وعرتنى لُوثةٌ لا أرتضـــيها
وطغى الضعفُ على ذاتى وحِسِّى　　وغدا العالَمُ فى عينى كريها

* * *

يا شـــعاعَ الله فى الغيب أضاءْ　　أنقذى نفسىَ من دنيا العذابْ
وارفعينى حيث نحيا فى السماءْ　　ما لنا والغيبُ والأرض الخرابْ ؟

* * *

منزلى الأولُ فيها[1] قد عرفتهْ　　فرأيت الحسنَ والخـــلدَ المقيمْ
شطرُ نفسى الضائعُ الآن وجدتهْ　　فلقِيتُ النورَ ، والقلبَ الرحيمْ

* * *

ليت شعرى ، لِمَ قد هِمْتُ هُياما ؟　　ولِمَ القلبُ عصـــانى فَهَوَى ؟
أىُّ معنى فيكِ أوحى لى الغراما　　فصحا القلبُ على نار الهوى ؟

* * *

أنتِ إذ تَجــزيننى وُدًّا بودْ　　إنما تُحْيِين نَفْســـا شاعرةْ

---

(1) فى السماء .

سوف تُوليكِ حناناً لا يُحدْ   وتُريكِ الحبَّ دُنيــا ساحرةْ !

* * *

لن تَرَيْنى شاكياً بعد التآلفْ   كيف يشكو مَن تكونين معهْ ؟

يعبرُ الهولَ ويرتادُ المخاوفْ   مَن رأى منكِ مَضاءً شجّعهْ !

* * *

يا ظلامَ الغيب : مِن قلبى وداعا   قد عَشِقتُ النورَ يَهْفُو لعناقى !

خيرُ عمرى فى دياجى الغيبِ ضاعا   فَلْأَعِشْ فى النورِ أيامى البواقى !

اللقـــاء ...*

. . وطلعتِ كالفجرِ الوليدِ صَباحةً — وخَطَرْتِ كالبـدْرِ الوَضِيءِ بهاءَ

واختلتِ كالورد النَّـدِيِّ منوِّراً — ودَنَوْتِ كالأمــل المحبّبَ فاءَ

وبعثت وحيَ الشعر فيضاً زاخراً — وغمرتِ قلبي بهجــةً ورضاء

وأَثَرْتِني للعيش بعـــد ملالهِ — وملأتِ نفسي قوةً ومَضــاء

وأعدتِ أحلامى وكم ناشدتُهـا — عَـــوداً فما ردَّتْ علىَّ نداء

وتبدلتْ بك وحشتي فى عالمى — أنْساً ، وأضحى جنــةً فيحاءَ

تتراقصُ الأزهــارُ فى جَنباتها — وتعانقُ الأضـــواءَ والأنداءَ

فاليـــومَ أمنحكِ الوفاءَ ، وإنه — لأقلُّ فى هـــذا المُقام جزاء

* * *

الدارُ ! كيف تركتِها فى خاطرى — سكَناً تقَرُّ به العيـونُ رُواءَ ؟

قد كنتُ أهجرُها وأقلى وجهَها — واليومَ أغشاها صـباحَ مساءَ !

وألامِسُ الـكتبَ التى لامستِها — وأضمُّها كالعــاشق استشفاء !

وأطوفُ فى الحُجُرات حيث حللتِها — فأرى جمـــالَك ساطعا وضّاء

فى حيثما لَمَستْ يداكِ ، وحيثما — طرقَتْ خطاكِ ، أرى المُنى تتراءى

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤

تتعاقب الأيامُ وهْيَ كعهدِها تَهَبُ الرضاء وتُلْهِمُ الشعراء :

* * *

والعُود ! أمَّا العودُ فهو محدِّثٌ لَبِقٌ يصوغُ لِيَ الغناء عزاء

لم ألقَهُ كاليوم ينقُلنى إلى دنيا تَفيضُ طلاقةً ورجاء

ولقد حنوتُ عليه أوقظ شدوَه فكأنما لمسَ القلوبَ غِناء

مِن كلِّ لحنٍ كالضياء ، وربما بزَّ الضياء تألقاً وصفاء

وأعدتُ أغنيةَ الوداعِ نديّةً فسمعتُ أروعَ ما سمعتُ نجاء

دنيايَ لما أنْ طلعتِ بأفقها عَذُبَتْ وكانت محِنَةً وشقاء !

* * *

يا زهرةَ الأمل الجميل : تحيةً من شاكرٍ لكِ لا يَمَلُّ ثناء

لله ساعاتٌ بقربكِ أيقظتْ روحى ، وطابت كالنسيم نقاء !

يا حسنَها من نعمةٍ ... لو أنها دامتْ لِمَن لم يعرف النَّعماء !

لكن طواها الدهرُ فيما قد طوى ! وأذاقنى مِن بَعدِ ذاك عناء !

فى طريق الواحـــة*

يا واحةَ النازحِ البعيـدِ ومؤئلَ الحائرِ الطريدِ !

ومرفأَ الزورقِ الجهيـــدِ وسـلوةَ الشاعرِ المجيدِ !

* * *

أجتاز من أجلكِ الصحارَى فى لفْحِها اللاذعِ الشديدِ

وأسلُكُ البيــد لا أبالى فى السَّيْرِ من صَوْلة الأسودِ !

مناىَ هذا النخيلُ أُصغِى لصمته الذاهــلِ الشريدِ

مناىَ هـذا النخيلُ أرنو لصبحِه المشرق الجـديدِ

مناىُ هذا النخيلُ أحيا بنوره الساطع الفـــريدِ

فقرِّبينى إليـــكِ علِّى أَسْتَافُ رَيّاً الهوى السعيدِ

وجنِّبيـــنى الأنامَ ، إنى يئِسْتُ مِن ذِلة العبيـــدِ

وآنِسِينى . . . فرُبَّ أُنْسٍ يُبيد جيشَ الأسى المبيدِ !

* * *

ألقاكِ ألقاكِ بعــد يأسٍ فى فَرْحَةِ العاشقِ العميدِ

وأنزل الدوحَ مســتظلّا بظلِّه الورفِ المـــديد

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤

وأسلم النفسَ فى لغوبٍ   للطير ، والزهر ، والورودِ
وأَرْشُفُ الصفو من مَعينٍ   مُشَعْشَعٍ سـائغٍ بَرودِ
وألثُم النورَ مِن جبينٍ   يُنير لى مُظلمَ الوجـودِ
وأعبـدُ اللهَ فى مُحَيًّا   كمْ طابَ فى وصفه قصيدى!

* * *

يا واحةَ النازحِ البعيـدِ   وموئلَ الحائرِ الطـريدِ
الريحُ تَطْغَى ! فأنقذينى   مِن عَصْفِها الجارفِ العنيدِ
وسَلْسِلِى الأمنَ فى فؤادى   وأيقظى الشوقَ من جديدِ
وداعبِى الروحَ بالأمانى   يَزِدْك من روائع النشيدِ
وعطِّرى خاطرى بذكرى   لقائنِا الأولِ السـعيدِ
أهواكِ أهواكِ يا رجائى   للفن ، والحب ، والخلودِ

* * *

يا واحةَ النازحِ البعيـدِ   وموئلَ الحائرِ الطـريدِ
ومرفأَ الزورقِ الجهيـدِ   وسلوةَ الشاعرِ المجيـدِ !

ليــــلة الزورق*

« أيتها السعادة التي غمرتنا ونشرت أجنحتها
علينا في هذه الليلة . . . لا أزال أحلم بك ! »

حينما ذَهَّبَ الأَصِيلُ مياهَ النّـ ـيلِ واختالَ في الرياضِ جميلاَ
أَبْصَرَتْني أطوفُ حولَ حِماها سادرَ الخطوِ ، حائراً مذهولا
هتفتْ بي : إليّ يا صاحِ ، أقبلْ أنا مَن قد بحثتَ عنها طويلاَ
ذاكَ وكرُ الهوى ! ألستَ تراهُ مثلما كان شاعريًّا ظليلا ؟
ذاك روضي ، فقرَّ عيناً ونفساً يا حبيبي ، واجلسْ إليّ قليـلا
واسقني بالجمال والسِّحرِ شِعراً شفَقِيًّا يُميتُ مِنّي الغليـــلا

* * *

كيف جانبْتَ روضَك الفينانا ؟ أتسلَّيْتَ أم نَسيتَ المكانا ؟
كلما طُفْتُ بالمكانِ أثارتْ وقفَاتُ الوداع مِنِّي الحنـــانا
وأرى القلبَ في غيابك أمسى يا حبيبي موزَّعاً حـــيرانا
أيها الغائبُ الذي خالطَ القلـ ـبَ هواهُ فذاقَ منه الهوانا !
خذْذراعي إلى ذراعك ، واصْعَدْ رَبوةَ الأمس ، واسْقني الألحانا

---

* القرية : صيف ١٩٣٤ .

ربّ ليـــلٍ سهرتُه أتقلّى فيه وحدى وأشتـكى الحرمانا !

* * *

ها هو العودُ حالماً بالأغانى فأعِدْها سِـحْرِيَّةَ الأنغامِ

ها هو العودُ يا حبيبى فغنٍّ غنٍّ للحب ، للنفوسِ الظوامى

فإذا ما شُغلتُ عنك بنفسى وبما هاج مِن هوًى وضرام

فدعِ العودَ جانباً ، وأدِرْها قُبُــلاتٍ من ثغركَ البسام

ودَعِ الرَّبْوَةَ الظليـلةَ تُخفى أثَرَيْنا بظلِّهـــا المترامى

ولْنَعِشْ هاهنا كما نتمنى للأغانى ، للحب ، للإلهام !

* * *

انظرِ الشمسَ هل شجتْك اختلاجا وهْى تخطو إلى الفناء السريعِ ؟

كم أضاءت وجدّدتْ من حياةٍ وتجلّتْ فى كلِّ أُفْقٍ وسيع !

ثم همَّتْ فليس فى الكون إلا نائحٌ فى مواكبِ التشييع !

يا حبيبى : خلِّ الوقارَ ، وهيَّــا نُوقظِ النفسَ بعد طولِ هجوع

بالأغانى ، وبالحديث ، وبالشِّعـ ـر ، وبالُحب جائشاً فى الضلوع

فغداً تذهبُ الحياةُ بشمسيْـ ـنا ، وتَمضى بنا لغير رجوع !

* * *

وارمُقِ البدرَ فى السماءِ سَبُوحًا يغمرُ الكونَ وجهُهُ بالنورِ

أطلقَ السحرَ فى السماءِ وفى الأر ض ، فبتنا فى عالَم مسحورِ
لا نرى فيه غيرَ ليلٍ وضيءٍ يبعثُ الشوقَ والهوى فى الصدور
يا حبيبى : خذنى إليك ودعْنى أتفيأْ بظلّكَ المنشــور
قرَّبَ البــدرُ بيننا ورعانا ودعانا لبهجــةٍ وحُبورِ
ما غَناءُ الساعاتِ تَمضِى خُواءً من لقاءٍ ، أو رِحْلةٍ ، أو سميرِ ؟!

***

وارقُبِ الزورقَ المقدسَ يبدو من بعيد كالطائفِ الجوّالِ !
كم عبَرنا به الخضمَّ وقد أغـ ـنى ، وجُلْنا فيهِ بكلِّ مَجالِ !
نُوقظ الموجةَ الصغيرةَ بالهمـ ـسِ فتُبْدى تثاؤبَ الأطفالِ !
وأغانى المجدافِ تُضْفِى على النيـ ـلِ رِداءً مِن رَهْبة وجلال
يا حبيبى : حانَ الوداعُ فهــلَّا جئتَ نَقْضِى حقَّ الليالى الخوالى؟
كم حَبَتْنا بصَفْوِها وَرَعَتْنــا نضَّر اللهُ وجهَها من ليال !

***

ورسا الزورقُ المقدسُ للشَّطِّ فيا لَلصفاء يخطو إلينــا !
وداعانا الملّاحُ بالنغَمِ العــذْ بِ ، فأَوْرَى بصوتِه مهجتَيْنا !
أيهــذا الملاحُ : أيّةَ ذكرى فوق هذا الخضم هِجْتَ لدينا
قرِّبِ الزورقَ المقدسَ كالأمـ ـسِ ، وهَيِّئْ لنا به مجلسَيْنا

وامْضِ في النيل حيث نسعدُ بالصفـ ـو ونُحْيِي في ظلّه أميلَيْـا
طال شوقى إلى المطافِ بدنيا كم شجتنا وأطلقتْ خاطرَيْنا !

* * *

قلتُ والبدرُ حالمٌ ، والدرارى ذاهلاتٌ ،والكونُ وسنانُ صاحِ
يا رجاءَ القلبِ الجريحِ ، وما زا ل ، أما آنَ أن تداوى جراحى ؟
بى ظُماءٌ إلى حديثِـكِ عذباً واشتياقٌ لوجهـك الوضّاحِ
قد سَهَوْنا عن الحياة ، وبِتْنا فى مُحيطٍ من الطلاقةِ ضاحِ
فابعَثِى النورَ فى جوانب نفسى وارحمينى مِن وَحْشَةِ الأرواحِ
شدَّ ما ضِقْتُ بانفرادى وسُهْدِى واغترابى فى غُدوتى ورَواحى !

* * *

أنا لولاكِ لم أَعِشْ فى حياةٍ ثقُلَتْ مَحملاً وساءتْ مَقرَّا
ليس تصفو لنا ! وهيهات تصفو للذى ازْدادَ بالحقائق خُبْرا
أنتِ جمَّلتِهـا لعينى ونفسى وفؤادى ، فلستُ آلوكِ شكرا
فتعالىْ نَعِشْ هنا فى حمى النيـ ـلِ ونَنْسَى ما ساءنا أو سرّا
نتناغى كالطير فى كَنَفِ الدَّوْ حِ .ونَطْوِى الساعاتِ أُنْسًا وبِشْرا
ذاكَ لُبُّ الحياةِ ، بل ذاك أَنْدَى ما حَوَتْهُ الحياةُ بَرًّا وبَحْرا

* * *

وصحا الشوقُ عارمًا فإذا ها　　في جنــون ورعْشَةٍ قبّلتني

ثم ألقتْ برأسِها فوق صدري　　كالذي نام مِن مَلالٍ وأيْنِ !

وسَرَى الريحُ لَيِّنًا فاطمأنتْ　　واستراحتْ في جانبي المطمئن

وشجاها الهوى فألقتْ بأذني :　　يا حبيبي طابَ المكانُ فَغَنِّ !

غَنِّ أغنيَّة الربيعِ على النيـ　　ـل وَرَوِّ الفؤادَ مِن كلِّ لَحن

فاحْتَضَنْتُ العُودَ الحبيبَ إلى النفـ　　ـسِ وأيقظتُه .. ورُحْتُ أغني :

* * *

حينما يُشْرِقُ الربيــــعْ　　في سمـــــاء الحـدائقِ

ونرى حُسنَه البــديعْ　　في وجوهِ الشـــــقائقِ

* * *

ســـــوف ألقاكِ ها هنا　　فوق ذَا الزورقِ السـبوحْ

حيث تَصْـــفُو لنا المُنَى　　ويَقَرُّ الهوى الجمـــوحْ !

* * *

يا مُحيَّـــا عَبَـــدْته　　مثلمــــا يُعبَـــدُ الإلٰهْ

وجمــــالاً عَشِــقتُه　　عِشقَ مَن لا يَرَى سِواه

* * *

كم تمنيـــتُ لو نـكونْ　　في حِمَى النيـــلِ مفردَيْن !

فى وِقَاءٍ عن العيـــونْ حيث نحيـــا كطائرَيْنْ

* * *

قـــدّر اللهُ يا حبيـــبْ للغريبَـــيْنِ بالتـــلاقْ
فمتى تســـعدُ القـــلوبْ بلقاءٍ بلا افـــتراقْ ؟ !

* * *

ورَسَا الزورقُ المقدسُ للشَّطِّ فصاحَ الملَّاحُ : هيـــا ! فقمنا
ومشَيْنَا على بِساط من العُشْـ ـبِ نَدىٍّ يهتزُّ فى حيث سِرنا
ووقفنا فى كلِّ مجلسِ حبٍّ وادَّكرنا مِن سحرهِ ما ادَّكرنا
ثم ودَّعتُها وعُدْتُ وأحلا مِى إلى عالمِى الشقِىِّ مُغنَّى
أسألُ القلبَ: كيف ياقلبُ مرَّتْ ليلةُ الزورقِ الحبيبِ وأينا ؟
وأرانى مُرَدِّدًا فى حنينٍ : ليت أنَّا نُعيدها ! ليت أنَّا ! !

سِحْرُ الحبّ*

« إلى التى تحببنى فى الحياة كلما اجتويتها . .
إلى صاحبة ليلة الزورق »

ولما انتهينا لظلِّ النخيلِ ... هناكَ على شاطئِ الجدولِ
ونمنا على العشبِ كى نستريحَ ... وصرنا عن الحىِّ فى مَعْزِلِ
أهابتْ بسمعى فلبّى النداءَ ... وأصغى إلى صوتها البُلْبُلِي
وقالت : تمتعْ ، فهذى الشفاه ... تناديك فى لهفةٍ : قَبِّلِ !
وهات اعطنى قبلةً كالجنى ... جَنَى الأمل المشرقِ المقبل
ولا تتعلَّلْ بذكرِ الوقارِ ... فإنا خلعناه فى المنزل !

* * *

وراحتْ تَهيجُ جِراحَ الفؤادِ ... فقلت : حَنَانَيْكِ ، لا تفعلى !
دعينى أسبّحْ بحمد الجمال ... وأحلُمْ بحبك كالأول !
يلوذُ بك الآن قلب جريحٌ ... يعيش ولكن بلا مأمل !
من الناس يصرخ كالمستجيرِ ... ويفزَع من دائه المعضل
وإنى لأطمع أن تُنقذيه ... وكالموت عندىَ أن تبخلى !

* * *

---

* القرية : عام ١٩٣٥ .

فقالت ، وجنْبي إلى جنْبِها : لك الأمنُ منِّي ، فلا تحفل
وعشْ فى جوارى عيشَ السعيد ونَمْ فى ظلالىَ نومَ الخلى !
سيندَمِلُ الُجرحُ يا شاعرى ويُوشِـك ليلُك أن ينجلى

***

وقبلتُها قبلاتِ الشـكورِ وقلبى بنار الهوى يصطلى
وقمنا نسـير برغم الزمان ورغمِ الأقاربِ ، والعذَّلِ !
تجوب مع الفكر فيما يجوبُ وتحنو على صـدرىَ المُثقَل
فيا ليـلةً قد رجعنا بها سعيدين ، مَن لى بأن تُقبلى ؟
فديناكِ يا ليـلةَ الحالمين هناك على شاطئ الجدولِ !

سعاية أم ! *

قبّح اللهُ أمَّها من عجوزٍ ... باعدتْ بيننا بسَيِّئِ مكرِ !
علمتْ ذات ليلةٍ بهوانا ... وبما فيه من عفاف وطهر
فرمتنا بفرقةٍ أحدثتْ لى ... لوعةً فى الفؤاد أودت بصبرى
فأنا اليومَ مُوحشُ النفسِ حيرا ... نُ مطيلُ التفكيرِ فى غير أمر
أتأسَّى والوجدُ يأكل نفسى ... والفؤادُ الاجوجُ ينزو بصدرى!

***

آهِ مَن لى بوجهها عبقرياً ... مُوحيا بالقصيدِ من كلِّ بحرِ
كانت الشمسَ فى سماء حياتى ... والرجاءَ المحبوبَ يعمُر شعرى
ثم مالت بوجهها عن سمائى ... فبدا البِشرُ واضحاً غيرَ بِشر
وتعوَّضتُ بالرياض يباباً ... وبنورِ الودادِ ظلمةَ هجر !
هكذا .. كلما نجوتُ من الأسرِ ... رمانى الهوى بأسرٍ وأسرِ !

---

* ميت غمر : يناير ١٩٣٥

تحيـــة سجينة*

مِن وراءِ الستارِ والذعرُ يبدو ... في عيونٍ ســــحريةِ الإيماءِ

بعثتْها تحيـــةً في انحناءِ ... وابتسامٍ مقنَّعٍ بالحياء . . . !

بعثتْها ســـجينةً ثم غابتْ ... مثلما تغرُبُ الشموسُ إزائي

فإذا الـكونُ عابسُ الوجهِ داجٍ ! ... وإذا بي أضــيق بالبُرَحاء !

* * *

يا مثالاً من الصباحةِ والسحر ... ورمزاً مصوَّرا من نقاءِ

أرسليها طليقةً كانطلاقِ النو ... رِ والحسنِ ... في وسيع الفضاءِ

أرسليها طليقةً حيث ألقى ... طيفَها السمحَ مشرقاً في سمائي

أنا كَرْوانك المبشرُ في الفجر ... بصبحٍ من حسنك الوضّاء

في أغانٍ خطفتُها من ثنـــايا ... صوتكِ الساحرِ الشجيِّ الغناء

هيَ زادي من الحيــاة جميعا ... وهْيَ أُنسي، في خَلوتي، وعزائي

* * *

يامَعينا من الوداعة واللطف ... وظلاًّ يَرِفُّ في صحْرائي !

أنتِ فجَّرتِ لي الحياةَ وقد كنـ ... ـتُ أراها كالصخرةِ الصماء

---

* ميت غمر : يناير ١٩٣٥ .

أنتِ جمّلتِ لى المشاهدَ حتى ... كدتُ أنسَى متاعبى وشقائى !
فبأىٍّ من البيـــان أوفِّى ... فضلَ ما قد وهبتِنى من صفاء ؟

* * *

يا مِزاجًا من رقةِ الزهرِ والفجرِ ... ومن روعةِ الضحى والمساء !
بلبلىٌّ التغريدِ صوتُك يسرى ... فى خيالى منوِّرا كالرجاء !
شجعينى على الجهــاد تَرَيْنى ... أنْطِقُ الصخرَ ، أرتقِى للسماء
علِّمينى معنَى الطلاقةِ والخلـ ... ـدِ مُقيماً ، يا ربَّةَ الإيحـــاء
طهِّرينى بفيضِ قُدْسك ما اسطعـ ... ـتِ ، وأَلقِى علىَّ ثوبَ الرضاء
وارفعينى إلى سمـائك أُنْشِدْ ... لك شِعراً يموجُ موجَ الضياء
وأفيضى علىّ بالوَحى أُبْدِعْ ... كلَّ لحنٍ مُعَبِّرٍ عن وفائى
ذاك عهدى إذا أجزتِ ، ولـكنْ ... أين مِن ساحةِ القبولِ دعائى ؟

حين الذكرى*

يأيها القلبُ المعذَّبُ فى الهوى ... كم ذا تشرَّق فى الهوى وتغرِّبُ !

ناموا ولم يَرْعَوْا لوُدِّكَ عهدَه ... وسَهِرْتَ ليلَك حائراً تتقلبُ

ما هكذا يا قلبُ تُخْدَعُ فيهم ... وتظلُّ تَلْهَجُ باسمهمْ وتُشَبِّبُ !

إن الذين وقعْت فى أشْراكهم ... جلبوا لِحَيْنِكَ فوق ما قد يُجْلَبُ

هم عذَّبُوكَ على الوفاءِ بجهلهم ... ولو استطاعوا فوق ذلك عذّبوا

يا ليت تصحو يا فؤادُ عن الهوى ... وتروحُ تلهو فى الحياةِ وتلعبُ !

---

* القرية : فبراير ١٩٣٥ .

الغفـــران *

اِغْفِرِى لى رُعونتى وجنونى ... ليس ما مرَّ كان بالمظنونِ !

اغْفِرِى لى . . ألا سبيلَ إلى الغفـ ... رانِ ألقَى لديْهِ بَرْدَ السكون ؟

اغْفِرِى لى فقد أَثِمْتُ ! وهيها ... ت خلاصى مما جنتـه يمينى !

وارحمينى . لَسوف أستعذبُ النا ... رَ إذا ضقتِ بى ولم ترحمينى !

شهد اللهُ لم أنمْ ليـلة الأمـ ... ـس ولم يعبثِ الكرَى بجفونى

كلما ضجت الكلابُ حواليْـ ... ـكِ وهاجت أشفقتُ أن تلعنينى

واعترانى من أجلكِ الندمُ اللا ... ذعُ يطغَى علىّ كالمجنـــون !

* * *

أنا سرُّ الذى تعانينـــه الآ ... ن وتَلْقَيْن من عذاب الهُونِ

وأنا المطلِقُ الأقاويلَ مِن حو ... لك بالعارِ والسـقوطِ المهين

وابَلائى من الضمير .. إذا ما ... لم يسعْنى عفوُ الفؤادِ الحنون !

* * *

يرحمُ اللهُ مَن أجَدُّوا لىَ الو ... يلَ ، وأذكَوْهُ بالفراق اللعينِ !

ليتنى أفتديكِ من قومك الصِّيـ ... ـدِ وأُنْجيكِ من ظلام السجونِ !

---

* ميت غمر : ربيع عام ١٩٣٥ .

ليتنا لم نُصِخْ إلى القدرِ الجا ئرِ ، أو ليت كان دينَك دينى !

* * *

إيهِ يا ليـــلةَ الـكنيسةِ ماذا خبأتْ لى الأقدارُ فيك ؟ أبينى !

فيكِ يا ليـلةَ الـكنيسةِ ودَّعْـ ـتُ صَفائى ولهفتى وحنينى

وبدأنا عهـدَ الفواجعِ والتبـ ـريحِ واليأسِ والأسى والظنون

وانتهيْنا إلى فراغٍ من العيـ ـشِ ودنيا مليئةٍ بالشجون !

* * *

لا تثورى علىّ فى سجنِكِ المطـ ـبقِ إمّا ذكرتنى واعذرينى !

زلةُ الأمس يا حبيبـــةَ قلبى تركتنى أجرُّ عبءَ القرون !

* * *

فالوداعَ الوداعَ .. يا طيفَ أحلا مى ، ويا كعبتى ، ورمزَ فنـونى

الوداعَ الوداعَ .. فالدهرُ يُقصيـ ـناويُجْرِىفوقالصخورِسفينى!

بســــمة أنت*

بَسْمَةٌ أنتِ فى الزمان القَطوبِ   جَنَّةٌ أنتِ فى الخصيبِ الجديبِ
بَسْمَةٌ زَفّها مُـــــفىءِ السَّعَادَا   تِ شِفَاءً من الضَّنَى واللُّغوبِ
جَنَّةٌ تُطلقُ التَّفاؤُلَ فى الـكَوْ   نِ وتُلْقِى بِظِلِّهِ فى القلوبِ

* * *

يا رجاءً عانَقْتُـــه وَتَداوَيْـ   ـتُ بِتِرْياقِ أُنْسِهِ من نُدُوبى
أنَا طَهَّرْتُ عند بابكِ ذَاتِى   وتناسيتُ كلَّ بَرْقٍ خَلُوبِ

* المنصورة : ١٩٣٥ .

فى ظلال الهيكل *

« إلى عروس الشاطىء . . يوم كانت تعبث بماء
البحر ، وترسم على صفحته خطوطا من الذهول
والأمل . . . تتلاشى بمجرد ظهورها ! »

أنتَ يا قاصِـــياً أظَلُّ أُناجيـ ـهِ وأَسْعَى إليه بين الصخورِ

أنتَ يا مَشْرِقاً تحجّبَ بالغيـ ـبِ بعيداً هناكَ خلفَ الدهور

أنتَ يا عالَماً تَحِنُّ له الأر واحُ من مَطْلَعِ الحياةِ المنير . .

أنتَ يا مَنْ إذا رآنِىَ أَعْدُو خَلْفَهُ ، غابَ فى ضبابِ العصور!

أنت يامَن إليه أُزْجِى أناشيـ ـدَ حنينى فى وقْفتِى وعبورى

أنتَ ما أنتَ ؟ إننىلستُ أدرى كُنْهَ هـــذا المقَنَّعِ المَنْظور !

* * *

أنتَ ماذا ؟ أأنتَ نورٌ من اللــــه هدانا فى ذلكَ الدَّيجُورِ ؟

أنتَ ماذا ؟ أأنتَ رَوْضٌ من الز هر شفيفُ الأنداءِ جَمُّ العُطور ؟

أنتَ ماذا ؟ أأنتَ فجرٌ من السحـ ـر تجـــلَّى فى أُفقِه المستور ؟

أنتَ ماذا ؟ أأنت أغنيَّةُ الأجـ ـيالِ تَسْرِى فى عالَمٍ مسحور ؟

أنتَ ماذا ؟ أجَـــدْوَلٌ أَزَلِىٌّ شَفَّ رُوحِى إليه همسُ الخرير ؟

---

* يقع معبد دندرة أو معبد كليوباترة عبر شاطىء النيل الغربى تجاه مدينة قنا وهذه القصيدة من وحيه . وقد نظمتها فى أكثر من جلسة داخل هذا المعبد خلال شهر يونيه عام ١٩٣٦ .

أنتَ ماذا ؟ أواحَةٌ مِن ظلالٍ ... أَنْسَتِ اللائذين لَفْحَ الحَرورِ ؟
أنتَ ماذا ؟ أَذِكْرياتٌ لعهــدٍ ... سائرٍ فى طريقــهِ للدُّثُور ؟
أنتَ ماذا ؟ أمَعْبَـدٌ سِحْرِىٌّ ... شاعَ فى جَوِّهِ عبــيرُ البخور ؟
أنتَ سِرُّ الإلهامِ والفنِّ والإبـ ... ـداعِ فى ذلك الوُجودِ الـكبير
أنتَ نورُ الخـلودِ أَقْبِسُ منه ... ما يَقِينى شَرَّ الفَنـاءِ المُغير !

* * *

أنتَ يا قاصِــياً أظَلُّ أناجيه ... وأَسْعَى إليه بين الصخورِ . .
يَخْبِطِ الشوكُ جانبىَّ فلا أَزْ ... دَادُ إلَّا تَقَــدُّماً فى مَسيرى
تتعاوَى الذِّئابُ حَوْلِى فأَمْضِى ... لا أُبالى بأَذْؤُبٍ أو نُمــور
ضارباً فى الشِّعابِ طَوْرًا ، وطَوْرًا ... فى رُءوسِ الجبالِ فى الزمهرير
غايتى أنتَ لو أَذِنْتَ فأصغيتَ ... إلى ذلك المُعَنَّى الضَّــرير
غايتى وَقْفَةٌ بواديكَ . . يا شَوْ ... قِ إلى وَقْفَـةٍ بِوَادى السرور
فوقَ أرضٍ . . الْعُشْبُ مِلْءُ ثَرَاهاَ ... فى بُيوتٍ مَسْقُوفَةٍ بالزهــورِ !

* * *

أنت يا مَشْرِقاً تحجَّبَ بالغيبِ ... بعيداً هنـاك خَلْفَ الدُّهُور
أنا أسعى إليـكَ كلَّ صباحٍ ... بين وادٍ مُعْشَوْشِبٍ مَنْضُورِ
مُنْشدًا فوق أُرْغُنِ الزمنِ الغا ... برِ أُنشودةَ النعيمِ القصـير

ذائبَ الجسمِ فى الأناشيدِ حتى ... لكأنى أنشـودةٌ فى الأثيرِ
وإذا ما رفرفْتُ صوبَكَ أبغيك ... ثنانِي عمـا أريدُ قُصورى
إيهِ يا مشرقَ السعادةِ ، بل يا ... مشرقَ الحسنِ والجمال الطَّرير
غايتى أنتَ سافرًا ، ففريدُ الـ ... ـحسنِ ما كان فى كمال السُّفور
غايتى أنتَ علَّنى بكَ أنسى ... ما عنانى من الوُجود الصغير !

* * *

أنتَ يا عالماً تَحِنُّ له الأرواحُ ... من مَطْلَعِ الحياةِ المنير . .
أَتُرى أنتَ مَهدُها يومَ كانتْ ... حُرَّةً فى رَواحها والبُكور ؟
وعجيبٌ تَمضى السنونُ عليها ... وهواها إليـكَ نارُ السعير
وهْىَ لولا رجاؤُها فى التـلاقى ... لَقَضَتْ نَحْبَها بِدُنيا الشرور
إيه يا عالم الطـلاقةِ والأحـ ... ـلامِ ، والشعرِ ، والهدوء المثير
هَدْهِدِ الروحَ بالرجاء وقُدْها ... مِن ظلام الشكوكِ نحوَ النور
ضُمَّ رُوحى إليكَ . لو كان يَكفِى ... ما جَنَتْهُ من الشقاء المرير !
ضُمَّها فهْىَ مِن جَلالك[1] تَحْيا ... بين هذِى الأشواكِ فوق الصخور
كلّما رُحْتَ نائياً هتفتْ رُو ... حِى وضجَّتْ بشوقِها المذخور
كلما لُحْتَ جارياً عَطِشَتْ رُو ... حِى إلى وِرْدِكَ الشَّهِىِّ الطَّهور

* * *

(١) أجلك .

أنتَ يا مَنْ إذا رآنىَ أغدُو خَلْفَهُ غابَ فى ضَباب العُصورِ
لِمَ هذا العُزوفُ عَنّى وما كنتُ سِوَى صَبِّكِ المُعَنَّى الأسير ؟
لا تَدَعْنِي إلى الزمانِ فإنى بِفجاجِ الزَّمانِ غيرُ خبير
الفناءُ المرهوبُ يملأُ نفسى فكأنى أسيرُ بين القبور
ودَوِيُّ الحياةِ قد ماتَ إلّا عَزْفَ جِنٍّ فى عالَمٍ مهجور
أين أسْرِى؟ وكيف، لو شئتُ، أَسْرِى فى فِجاجِ الزَّمانِ دونَ سمير ؟
إيه يا من شَرَيْتُه بالصِّبا الغَضِّ هُيَاماً ، وبالشّبابِ النضير
إننى ثائرُ الشعورِ من الذُّعْرِ فَقِفْ ساعةً وهدِّئْ شُعورى
ما على مثلِكَ الكريمِ إذا ما راح يُصْغِى للخائفِ المذعور ؟

* * *

أنتَ يا مَن إليه أُزْجِى أناشيدَ حنينى فى وَقْفتِى وعُبورى
أبداً أَرْقُبُ السماءَ برُوحى وبقلبى ومُهْجَتِى وضميرى
أبداً أهْجُرُ الوجودَ ومافيه وأسْمُو إليكَ بالتفكير
ذاهِلاً لا أُحِسَّ ما قامَ حَوْلى من عِراكٍ على الحياةِ خطير
سائلاً عنكَ كلَّ ما تقعُ العينُ عليهِ من أَنْجُمٍ وبُدور
مُفْعَمًا بالرجاءِ أنى سألقاكَ وأَحْيَا فى ظِلك المنشور . .
حالماً فوقَ صدرِكَ الدافِئِ الرَّحْبِ بأوقاتِ نَشْوَتِى وحُبورى

إنْ أَفزْ منــكَ بالذى أبتغيه فهنيئاً . . إلى الُخلود مَصيرى

* * *

أنتَ يا قاصِياً أَظَلُّ أُناجِيــهِ وأسْعَى إليــه بين الصخورِ

أنت يا مشرقاً تحجَّبَ بالغيب بعيــداً هناك خَلْفَ الدهور

أنتَ يا عالَما تحِنُّ له الأر واحُ من مَطْلَعِ الحياةِ المنير

أنت يا من إذا رآنىَ أغْدُو خلْفَه غابَ فى ضباب العصور

أنت يا مَن إليه أُزْجِى أناشيدَ حنينى فى وقْفَــتِى وعُبورى

أنت .. ما أنتَ؟إننى لست أدرى كُنْهَ هذا المقنَّعِ المنظورِ . . !

وحي لقــاء . . .*

« إلى التي هي الإجمال والدنيا التفصيل . . ! »

لستُ أَسْطِيعُ أَنْ أُحِسَّكِ ذاتاً   أنت حُــلْمٌ عَرَفْتُهُ في طريقي !

لستُ أسْطِيعُ أنْ أُحِسَّكِ صوتاً   أنت لحنٌ دبيبه في عروقي . . !

لستُ أسْطِيعُ أنْ أراكِ بعيني   جوهراً يخطَف النُّهى بالبريق

أنتِ شِعرُ الحياة ، أنت شَذاها   أنت دنيا من الحنان الرقيق

أنتِ بُشْرَى الخلاصِ من رِبقة القيـ   ـدِ تجلَّتْ لعالَمٍ موثوق . .

أنتِ قلبُ الزمان ينبِضُ أحلا   مَا ، كزهر الرُّبَى ، كوجهِ الشقيق

* * *

يا ظلالَ الأشجارِ في صفحةِ الحقـ   ـلِ ، ويا رِعْشَةَ النباتِ الغريقِ !

يا مِزاجَ السَّنا ، ورائحة العشـ   ـبِ ، وزهرَ الليمونِ قبلَ الشروق

يا بهاءَ السماء في مطلعِ الشمـ   ـس ويا رَوْعَةَ الضُّحَى المعشوق

يا تحايا الطيور للجدول المُطْـ   ـربِ سُمّارَه بِشَــدْوٍ رفيق

يا خيالَ النخيـلِ نامَ على الما   ء ، ويا رَهْبَـةَ الخِضَمِّ العميق

يا شُحوبَ الأصيلِ ، يا شَجَنَ الليـ   ـلِ ، ويا دمعة الشَّجَى المخنوق !

يا حنــين المساء للشفق الغا   ربِ خلفَ التلالِ مثلَ الحريق

* القاهرة : صيف ١٩٣٦

يا معانى الرجاء ، يا صرخةَ البعـ ـث لشعبٍ بين الشعوب عريق
يا غموضَ الأسرارِ فى هيكل الذكـ ـرى ، ويا وحشةَ الخيال الطروق
يا أغاريدَ مُلْهَمٍ أنصتَ الكو نُ لأصدائها بكل طريق . .
يا لهيبَ الأشواقِ ، يا رَبْوَةَ الوَحْـ ـيِ ، ويا رقصةَ الشعاعِ الرشيق
يا تراتيلَ ناسكٍ فى دجى الليـ ـل ، ويا رحمةَ الفؤادِ الشفيق
ما الصباحُ النديُّ مثلَك لُطْفًا أنتِ أَنْدَى من الصباح الأنيق
ما الربيعُ المنضورُ مثلَك مَعْنًى أنتِ أَبْهَى من الربيع الوريق
أنتِ هذا الوجودُ ذاتًا ورُوحًا أنتِ ما فيه من نعيم حقيق
أنتِ مَن أصعدُ السماءَ إليها كلما ضِقْتُ بالشقاءِ المحِيق !

* * *

أىَّ بِشرٍ لم تَسْكُبِي فى حياتى ؟ أىَّ نورٍ فى جوِّها لم تُرِيقِى ؟
أىُّ فجرٍ معطَّرٍ . . . قمرىٍّ أنت لم تُطْلِعِيه عَذْبَ الشروق ؟
الزمانُ الذى لَقِيتُكِ فيه بهجةُ العمر ، مبدأُ التوفيق
والمكانُ الذى وجدتُك فيه خيرُ حَقْلٍ من الشَّذَى المرموق
كنتُ بالأمسِ غارقًا فى قيودى وأنا الآن دائمُ التحليق !
كالخيالِ الطروب ، كالنَّسمِ العا برِ وَهْنًا ، وكالضياءِ الدفوق
كالرجاءِ المنغومِ ، كالفرح المُدْ قِي بأسبابِه لكلٍّ فريق

كالغناءِ المبثوثِ فى ذلك الـكو ... نِ جميعا ، وكالغمامِ الرقيق
هـكذا نضّرتْ يداكِ حيـاةً ... كنتُ من قَفْرِها بِهَمٍّ وضِيق !

* * *

أَيْنِعِي يا مخاضِرى وحقـــولى ... أَيْنِعِي أينعى بزهر أنيقِ ... !
صفِّقِي يا جداولى فى حبـــورٍ ... واسْتزِيدى من ذلك التصفيق
غرِّدِى يا طيورُ للورَقِ النـــا ... مى ، ومِن لَذْعَةِ الصقيعِ أَفيقِى
الشتاءُ القَطوبُ ماتَ على الأيـ ... ـكِ ، وعادَتْ صِلاَلُهُ للشقُوق
والربيعُ المنضورُ فاضَ حيــاةً ... فوقَ أشـلاءِ عالمٍ مَطروقِ !

* * *

يا يقيناً أَجْرَيْتِـــه فى دمائى ... ومضاءً أحسستُه فى عروقى
بكِ أبصرتُ كلَّ خافٍ من الغيـ ... ـب وخلَّفتُ كلَّ رُوحٍ سَبُوق
بكِ أرسلتُ فى الوجود قصيدى ... كرُؤَى الخلد ، كالنَّدَى ، كالرحيق

* * *

ما الذى فيكِ فاستجاشَ جَنَانى ... وخيالى ، ولهفتى ، وخفوقى ؟
بين بُرْدَيْكِ يا صَبِيَّةُ كنزٌ ... مِن نَقاءٍ مُعَطَّرٍ مَعْشُـــوق
وبعينيـكِ يا صَبِيَّـــةُ شَجْوٌ ... ساهِمُ اللَّمْحِ مُسْتَطارُ البريق
وعلى كاهلَيْكِ تحتشـــدُ الدنـ ... ـيا بأحزانها احتشادَ الصديق

* * *

يا مَعينَ الإلهامِ ، يا جَذَلَ الرُّو ـحِ ، ويا هَدْأَةَ الفؤادِ الخفوقِ

أنا فى مَعْبَـدِ الوجودِ أُصلِّى لكِ فى نَشْوَةِ المحبِّ المشوق

ذائبًا كالحنينِ فى الشفةِ الظمـأى ، وكالحُلْمِ فى الخيال المُفِيق

أبداً أنتِ شاغِـلى وجليسى ونجيِّى ، وصاحبى فى الطريق

ومعى أنتِ فى الهجوعِ وفى الصَّحْـوِ ، وفى زَحْمَةِ الوَرَى والسُّوقِ

فى مَطافِ السَّدِيم ، فى العالَمِ المجـهولِ،فى الغيبِ، فى مداه السحيق!

فى المروجِ الخضراء رَفَّ نداها فى النخيلِ المتوَّجِ الممشوق . .

فى دياجى الحياةِ ، فى غَيْمَةِ النفـسِ ، وفى هيْجَةِ الأسَى والحُرُوق

فى مَراد الخيالِ ، فى سَبْحَةِ الرو حِ ، وفى كلِّ هيِّنٍ أو دقيق

كلمـا سِرْتُ تخطِرين أمامى فى رِداءٍ من الخيـالِ الطليق !

* * *

لستُ أسْطيعُ أن أحِسَّكِ ذاتًا أنت حُـلْمٌ عرفتُه فى طريقى

لستُ أسْطيعُ أن أحِسَّكِ صوتًا أنت لحنٌ دبيبُـهُ فى عروقى

أنتِ بُشْرَى الخلاص من رِبقة الأسـر تجلَّت لعـالَمٍ موثوق

أنت قلبُ الزمان ينبِض أحـلا مًا كزهر الرُّبَى ، كوجه الشقيق

أنتِ هذا الوجودُ ذاتًا وروحًا أنت ما فيـه من نعيم حقيق

أنتِ مَن أصْعَدُ السماءَ إليهـا كلما ضِقْتُ بالشقاء المحيق !

مناجاة*

أجاءكَ أنَّ القلبَ لم يَصْبُ قبلَكا ؟ وعندكَ أنّ الشوقَ منه تملّكا ؟

رأيتكَ كالصبحِ النديِّ بروضة فأقبلتُ أسْتَنشِقُ وأرشُف طَلَّكا

ومِن كرمٍ أنى أراكَ تُظِلُّنِي برحمتكَ الكبرى وتُكرِمُ أهلَكا

تنافسنى الأيامُ فيكَ صبابةً فأفضُلها طُهْرًا ونبلا ومسلكا

وتشتاقكَ الدنيا وأنتَ بجانبى فأُطْلِقُ أشتاتَ التعاويذِ حولَكا !

* * *

ويومَ تعارفنا طوَيْتُ مباذِلى وأقسمتُ أن أحيا على الطهر مثلَكا

أرى الحسنَ فى الدنيا، أرى النُّورَ ساطعاً فتنكره نفسى، وتشتاق ظِلّكا ..

* * *

تنبأتَ لى بالمجد يُشرِقُ صُبْحُه فهلْ لِلّيالى أنْ تحققَ فألَكا

وما المجدُ إلا أنْ أكونَ وصاحبى وأن نقطعَ الصعبَ المشوكَ ونَسْلُكا

وما المجدُ إلا أن تُوجِّهَنى إلى عظائِم ما ترجو، فأفعلَ قولَكا

* * *

فيابهجةَ النفسِ التى عزَّ أُنْسُها ويا مُنْقِذِى مما أطمَّ وأَحْلَكا

---

* المنيا : عام ١٩٣٧ .

أفدتَ حياتى جرأةً وتَوَثُّبًا وصيَّرْتَنى لا أرْهَبُ اليومَ مَهلَكَا
ولوَّنْتَ لى الدنيا جمالًا وفتنةً ولُطفًا وإشراقًا فأكبرتُ بَذْلَكَا
وأدنيتنى لمَّا تَحَسَّسْتَ لَهْفَتِي فَلَبَّيْتُ مَسْحُورًا. وعَوَّذْتُ تُبْلَكَا
ويا ليتَ أُدرى ، إذ أقومُ مصليا ، إلى اللهِ قد كانت صلاتِىَ أم لكَا ؟

* * *

ويا وَاهبًا بالأمسِ ما فوق غايتى لمن أشتكى مِن بعدِ جُودِكَ بُخْلَكَا ؛
لأصبحتَ لا تَقْضِى إلىَّ لُبَانَةً عشيةَ إنْ تُومِئْ أُجِبْ أنا سُؤْلَكَا
وتَمطُلنى فى كلِّ شأنٍ أَوَدُّهُ ومِن عَجَبٍ أنْ يَعْشَقَ القلبُ مُطْلَكَا
غفرتُ لكَ الماضى وأقبلتُ شاكراً إذا كنتُ أَدْرِى أننى بِتُّ شُغْلَكَا !

ميـــــلاد حب*

يا التى فى حمى الليمونِ شبَّتْ يا التى

إنَّ فى حقلكِ المطلولِ روحاً حنَّتِ

فاسـنـــــمعى !

* * *

فى صباحِ الميلادِ ألقتْ سَفِينى لرياحِ الشتاءِ فضـــــلَ الزمامِ

فى صباحِ الميلادِ شجَّتْ رءوسَ الـ ـموجِ تبغى طريقَها للأمام !

لفَّها الفجرُ فى شَفوفٍ صباحيٍّ فبانتْ قصــــيدةً للأنام . .

كلماتُ الحنــــين فى شفتيْها وعليها صباحـــةُ الأيام . .

الرجاءُ الوليــــدُ يدْرُج فيها هادئاً فى تفتحٍ وابتســـام

والضبابُ الفضىُّ يُلقِى عليهـا بمعانى الغموضِ والإبهـــام

باركَ اللهُ صبحَها بيــــد النو رِ ، فغاصت فى لُجِّهِ المترامى

ومشتْ خلفها مفارحُ هذا الـ ـكونِ فى غير ضجـةٍ وزحام

العصافيرُ فوق مُخْضَوْضِرِ الزيـ ـتونِ غنَّتْ أشواقَها فى هُيام

ورعاةُ الأغنامِ فاءوا إلى العشـ ـبِ ، وغنَّوْا لناضرٍ منـه نامِ

---

* المنيا : عام ١٩٣٧ ، قصيدة لم تـكمل .

والنسيم الوهنانُ يمشى على المـا ء ، بخطوٍ موقَّع الأنغام . . !

والشعاعُ النديُّ رفَّ على السِّد ر[1] وفوق المروجِ والآكام !

هكذا فى الصباح سارتْ سفينى بين دنيا تموج بالأحـــلام !

* * *

رحمتا .. للذى أمسى غريقا فى الدُّجَى !

كلما حاول الإفلاتَ عــزّ المرتجَى !

فاســمعى !

* * *

يا رفيق الملاحَ : أين هىَ الأر ضُ؟ومالى على الضحى لاأراها ؟

أعراها من السماء ازورارٌ أم مشى الليلُ فوقها فمحاها ؟

وإلى أين والعــوالمُ حولى أطلعت سُخطَها ، وأبدتْ أذاها ؟

الغيــومُ الجهماء تحجب عنى وجهَ شمسِ الضحى، وتُخفى سناها

وبحارُ الظلامِ تطغى على الـكو ن فلا تبصر العيونُ مداها

وعيونُ السماء تُنــذر بالهو ل ، وفى حيثما التفتُّ أراها . !

(١) شجرة النبق

السـراب . . . *

أأناجيكِ وَمْضَةً فى حياتى ؟   أم أناجيكِ لَعْنَةً فى وُجُودِى ؟
أم رجاءً أراهُ غيرَ مُواتِى   ودَوَاءً أراهُ غيرَ مُفيد ؟
لنْ أناجيكِ . . لن أناجى السَّرابا . . !

* * *

أَتلوحِين ؟ لا تَلوحِى ، فمَا لِى   إذْ تَلوحِين مَأمَلٌ فيكِ بَعْدُ !
أو فَلوحِى فى عَالَمى وخَيالى   مُغْرياتٍ أشْوَاقُها لا تُحَدُّ . .
لنْ يكونَ الإغراءُ إلا السَّرابا . . !

* * *

وإذا شِئْتِ فاخْدَعِى مَن يَراكِ   وازْعُمِى أَنَّ فيكِ طُهْرَ السَّماءِ !
وأرِيهِ . . كما رَأَيْتُ هَواكِ   غُصَصَ الموتِ عَذْبَةَ الأَسْماءِ
لنْ يرَى فى هواكِ إلَّا السَّرابا ! . .

* * *

وادْخُلِى بالدُّموعِ جَيْشًا عليْهِ   تَقْتُلِى ذلكَ التَّمرُّدَ فيهِ

---

* القاهرة : صيف ١٩٣٧ .

وازْعُمِيها تَوَسُّـــلاتٍ إليهِ   مِن حبيبٍ بروحهِ يَفْـــدِيهِ

لنْ يَرَى فى الدموعِ إلّا السَّرابا . . !

* * *

وأمامى أراكِ فى كل وادِ   كلما سرتُ صوبَكِ ازددتِ بُعدَا

ليت شعرى .. وفيكِ ضلَّ فؤادى   وغَدَا لا يَرَى بغيركِ رُشْدَا . .

أفتــاةً ظهرْتِ لى . . . أمْ سَرابا . . ؟

أقبلي *

أَقْبِلِي يا ابنــةَ الحقولِ وهَاتِي ... مِن صَباحِ الجداولِ الحالماتِ

أقبلي .. فالظلامُ حولي كثيفٌ ... وجُيوشُ النسيانِ تَغزُو حياتي

أقبلي . فالصَّبَا تُنَغِّمُ أَحْــــلا ... مِي وشوقي إليكِ في النَّسَماتِ

واطْلُعِي كالندَى يَرِفُّ على الزهـ ... ـرِ وفوقَ المروجِ والقَنواتِ

وادْخُلِي روضَكِ الشتائيَّ في الفجـ ... ـرِ وناغِي طيورَه البائساتِ

واسْمَعِيها مُجَــرَّحاتِ الأغاني ... ما عساها تُذيعُ غيرَ شَكاتي ؟

***

أَقْبِلي يا ابنــةَ الحقول وسِيرِي ... في طريقٍ مَأْنُوسَــةٍ بالنباتِ

ذِكرياتي على ثَرَاهَا تُماشِيـ ... ـكِ وتُصْغِي إليكِ في الخُطُواتِ

في طريقٍ تَنَفَّسَ العُشْبُ فيها ... فأَرَاقَ الشَّــذَى على الجَنَباتِ

---

* القاهرة : عام ١٩٣٨ . قصيده لم تكمل .

النســـيان . . *

ما لهـذا الضبابِ يَغْشَى مكانى   ولهذا السكونِ يرْقُدُ حَوْلِى ؟
أنا مِن وحشةِ الليـالى أُعانى   ما يعانى الغريبُ من كلِّ هَوْلِ !

* * *

يا بحارَ النسيانِ لا تَفصِلينى   عن ينابيعِ مَنْشَئِى ووُجُودى
أَرْجِعِيها إلىَّ أو أرجعيـــــنى   عازفاً حولَهـــا بلحنٍ جديدِ !

* * *

يا لَركبِ السنينِ يَخْطُو أمامى   كلُّ يومٍ فيــه بطيئاً ملولا
من ضلالِ الأشواقِ والأوهامِ   حمَّلَتْهُ الحياةُ عِبْئاً ثقيـــلا !

* * *

والخريفُ الحزينُ شاعَ بنفسِى   وَرَقاً ذابلاً ، وكوناً مَريضاً !
وجيوشُ الإهمالِ من كلِّ جِنس   لم تَدَعْ لى من الرجاءِ وميضاً

* * *

لِمَ هـــذا الجموحُ يا خطراتى   فى محيطٍ من الظلامِ الكثيفِ ؟
أنا إن عُدتُ تائهاً فى حيـاتى   فمِن الصمتِ والمَصيرِ المُخيفِ !

* * *

وَيْكَ يا مُرجعَ الخصيبِ جديباً   ومعيـدَ الحبيبِ غيرَ حبيبِ !
كيف أطفأتْ وَجْدَنا المشبوبا   ثم أسْلَمتَ شمسَنا للمغيبِ ؟

---

* شبرا ، القاهرة : عام ١٩٣٨ .

عاصفة*

أيها الداعي على قُرْبِ المزارِ كيف تدعوني ولم تَفْكُكْ إساري؟

كيف تدعوني وتَنْسَى ظُلْمَةً طلعتْ حولي على غيرِ انتظارِ ؟

في جحيمِ اليأسِ زلَّتْ قدمي فتلقَّتني بنارٍ ، أيِّ نارٍ . . !

يا لَه اليأسُ عدوًّا شرِهًا يأكلُ الآمالَ في ضوءِ النهار !

***

لِمَنِ البحرُ يُغَنِّي بالجمالِ ؟ ولِمَنْ يَسْعَى على تلك الرمالِ ؟

ولمن يَرْقُصُ نشوانَ على نغْمة التيهِ وموسيقى الدلالِ ؟

أيُغَنِّي للسعاداتِ التي وَرَدَتْ تنهلُ مِن شتَّى الظِّلالِ ؟

قلْ له : غنِّ . . ولكنْ للألى لم يَذوقوا اليأسَ أو سُهدَ الليالي !

***

المعاني ! أينَ يا بحرُ المعاني ؟ أين ذاكَ النورُ يَسْرِي في كياني ؟

أين آياتُك والدنيا التي تعمرُ القلبَ بأشتاتِ الأماني ؟

أين أشعارُك ؟ كيف انطفأتْ بَهْجَةُ الشَّطِّ ، وأنْوارُ الحِسانِ ؟

---

* الإسكندرية : صيف ١٩٣٩ .

عجباً يا بحرُ . . تحْيَا بالمعانى في أَوَانٍ ، ثم تَفْنَى في أوانِ !

* * *

أذْرَعُ الشَّـطَّ غُدُوًّا ورَوَاحاَ وأرى النـاسَ ضجيجاً وصُياحا

ثم لا أَصْحُـو على موكبهم أو أرى في لهْوِهِمْ ذاكَ انشراحا

وعجيبٌ . . كلُّ ما يُبْهِجُهُـمْ يُفْعِمُ النفسَ مساءً وصباحا !

أَفَئِنْ ضَـلَّ امرُؤٌ في سعيهِ يجدِ الدنيا شقاءً وجراحا ؟

* * *

أيها الموجُ على صدرِ الضفافِ لا عليكَ الآن مِن هولِ المَطافِ

بسط الأمنُ جناحيـه على ظلك الساجى برفقٍ وانعطاف

تلك عقباكَ : سلامٌ شاملٌ . . وأنا ما زلتُ في هذى الفيافى !

في صميم اليأسِ أخطو والدُّجَى يملأُ النفسَ ويَسْرِى في شَغافى !

* * *

يا بشيرَ النورِ . . يا فجرَ حياتى يا ربيعاً خالداً في دُنْيَـاتى

لِمَ أَوْغَلْتَ على ما بيننـا في محيطِ الصمتِ بين الظلماتِ ؟

لِمَ أرسلتَ يدى فارغـةً من عطاياكَ ؟ أما أَجْدَتْ صَلاتى ؟

لِمَ يا أنسَ ليـالىَّ ، ويا سَلْوةَ الأيامِ ، تمحو كلماتى . . ؟

* * *

كنتَ لى ظِلًّا على الأرض وَرِيفاً كنت لى مَعْنًى سماوِيًّا لطيفاً

كنتَ لى سِحْرًا يُغشّى هيْكلِى وربيعاً شاعريّاً ، لا خريفـا
كنتُ مزهُوبًا بما أَلْبسْتَنِى مِن معانيكَ ووضَّـاءٍ شفيفا
ثم مات الظلُّ والسّحْرُ معاً بين كفيْكَ فأمسيتُ مُخيفاً !

***

جَدَثٌ يَمْشِى . . ! وقد ضُمَّ على أَمَلٍ عاثتْ به أيدى البِـلى !
وغِلافٌ ظاهِرِىٌّ لفـتًى . . كان بالأمس طموحاً للعـلا !
وبقـايا مِن خيـالٍ عابرٍ سـكنَ الدنيا فضاقتْ منزلا !
أتُراهُ الآنَ ؟ لن تُبصرَه حينما تلقـاهُ إلَّا هَيْـكلا !

***

أيها الصبحُ النـدىُّ الباسمُ أيها اللحنُ الشجىُّ الحالمُ
أدخـلُ الدارَ التى ودَّعتَها فإذا الصمتُ عليهـا جاثمُ !
وإذا النسـيانُ فى أرجائها وإذا عرشُـكَ فيها واجِمُ !
وإذا أنوارُها مُطفَـأةٌ وإذا الليـلُ عليها دائمُ !

***

يا رجاءَ العمرِ . لو كان الرجاء غيرَ صُبْحِ الوَهْمِ أوْ لَيْلِ الشَّقاء . .
سِرْ كما تَهْوَى على أشـلائنا وعلى الماضى الذى جاز السماء !
وانْزِعِ الرحمةَ لا تَحْفِـلْ بها . إنما الرَّحْمةُ شَرْعُ الضعفاء
حَبَّذَا الـكفرانُ بالْحُبِّ . . ولا حَبَّذَا الإيمانُ فيـه والوفاء ! !

ليـــلة فى النخيل *

يا عروسَ النخيلِ . قد أوشك الليـــلُ ، وما زلتُ ساهدًا فى انتظارِكْ
فوق صدرِ الرّباةِ آنَسُ بالعُشْــبِ ، وأهفو بخاطرى لمزارِكْ . .
مستعيدًا جولاتِنا فى الأماسىّ وأمْنًا وجدْتُهُ فى جِوارِكْ . .
فتعالىْ مع الربيـع . . وهاتى أسمعينى الرجاءَ من قِيثارِكْ !

* * *

بى اشتياقٌ إلى صباحكِ أَمضى فى سناهُ ، وأرتوِى من نداهُ
بى انتظارٌ إلى ربيعكِ ينمـو فى حياتى بعطرِهِ وشـــذاهُ
بى حنـينٌ لأنْ أُحِسَّك قربى وَجْهَ أنثى أجادَ فيــه الإلٰهُ
فتعالىْ . . فقد يُضىءُ بكِ القلـــبُ وينجابُ ، إذ يراكِ ، دُجاهُ !

* * *

ملعبُ الذكرياتِ أَلمحُ فيــه زُمَرًا من عواطفٍ تتعــانقْ
ملعبُ الذكرياتِ أسمعُ فيــه هَمَســاتٍ من المُنَى تتسابقْ
ملعبُ الذكرياتِ ينسابُ حولى بجــديد من الفنون وشائقْ
ونسيمُ الحيــاةِ يبعثُ فى الوا دى حنينًا كأنه شَجْوُ عاشقْ !

* * *

---

* القرية : ربيع ١٩٣٩ .

فى شِعابِ النسيانِ أُفْرِدْتُ وحْدى   فعبرتُ الأيامَ حيًّا كميْتِ !
أجِدُ الغدرَ والجحودَ من النا   سِ ، وأَلْقَى الظلامَ فى عُقْرِ بيتى !
والعذابُ الروحىُّ فى ليلىَ الدا   ئِمِ أَوْرَى دَمِى وأَنْضَبَ زيتى !
فتعالىْ . . وفى يديْك انطلاقٌ   مِن نجاجِ النسيانِ إمَّا أتيت !

* * *

منذ ما بَعْثَرَ القضـاءُ صفائى   فى مُحيـطِ الرغائبِ الهوجاء
وجِمَ الناىُ فى يدى وانزوَى الشعـرُ   بقلبى مجرَّحَ الأصـداء !
واختفتْ بسمةُ التفاؤلِ مِن كَوْ   نِى وعاد الذبولُ رجْعَ غِنائى !
فتعالىْ . . وأطلقى فى وجودى   ومَضاتِ الحيـاةِ بعدَ الفناء !

* * *

وَادْخُلى مِن كُوَى الفؤادِ وهُبِّى   نسماتٍ تعيش فى أعماقى . .
وَاطلُعى والحياةَ فى صَحْرائى   واحةً ظلُّها على الدهـر باقِ
وَازْخَرِى فى دَمِى عُبَاباً مِن الفنِّ   وفَيْضًا مِن نُورِه الأَلّاقِ . .
وَادْفَعِينى إلى الحياةِ جـديداً   فلقـد طالَ للحياةِ اشتياقى !

* * *

يا عروسَ النخيل . يا بَسْمَةَ الفجـرِ ، ويا رَوْعَةَ الصباحِ الجديدِ
هُوَ ذا الروضُ قد غفا . . فتعالَىْ   واسْمَعِى فى النخيلِ نجْوَى نَشِيدى

وَادْفَعِى عالَمَ الظلامِ إلى الغيـ ـبِ . إلى هُوَّةِ الفناءِ البعيدِ
وَانشُرِى فى وُجودِىَ الفرحَ الخا لدَ ، يا ربَّةَ الوجودِ السعيد !

* * *

وعلى النيـــلِ معبدٌ أزَلِىٌّ شاعرِىُّ الإيحاءِ ضافِى الجلالِ !
رَقَصَتْ رُوحِىَ الغريبةُ فيـه بين عَزْفِ العصورِ والأجْيالِ
وظِلَالُ الأشباحِ . كَمْ عارضَتْنى بظلالٍ مِن رَقْصِهنَّ الخيالى !
فتعـــالَىْ إلىّ فى المعبدِ الفا نُضِ بالسحرِ .. يا عروسَ الليالى!

* * *

يا هوانَ الحياةِ . إنْ لم تَرُدِّى وجهَها القفْرَ جَدْولاً وخميلا !
يا ظلامَ الوجودِ .. إنْ لم تكونى نُورَهُ السَّابِـغَ الذى لن يحُولَا !
يا مَلالَ الأيَّامِ .. إنْ لم تكونى أُنْسَها الشائقَ الذى لن يَزولا !
يا ضلالَ الفؤادِ . إنْ لم تَظَلِّى أبدَ الدهرِ رُشْدَهُ والدليلا !

سخرية القـــدر *

حينما تَضْحَكُ الحياةُ ونَبـكى يَبْدَأُ الذاكرونَ فى النِّسْيانِ

وتعُودُ الأشـــجانُ داءً لذيذاً فيه للنفْسِ غايةُ الإحســـانِ !

***

أنتِ.. مَن أنْتِ؟ لا تقُولى مَلاكٌ أنتِ وَجْهٌ من أوْجُهِ الشيطانِ

فيـكِ إِغْواؤُهُ المُضِلُّ وبعضٌ من معانيه يا ابنةَ الإنسان !

أَفَــكُنَّا مُمثِّلين . . ؟ وكنَّا . نخدعُ القلبَ كلَّ هذا الزمانِ ؟

أنا ما كـنتُ بالممثلِ يَبْدو فى الوجوهِ الـكثيرةِ الألوان !

***

قالتِ العينُ : وَيْكَ يا قَلْب ! هذا حُلْمُكَ العبقرىُّ جَمُّ المعـــانى

مُطرقَ الرأسِ .كالذى كان يخشى أنْ تراهُ فى مثلِ هذا المـكانِ

وعليــه من الـكآبةِ ظِلٌّ ومن الخزْىِ والأسَى ظِلّانِ !

وبعينيه ذِلَّةٌ وانْـكِســـارٌ وشــــعورٌ بالفَقْدِ والحِرمانِ

لِمَ لِمْ تَلْقَهُ . . شَــجِيًّا طَرُوباً عارِمَ الشوقِ ، مُشْرِفَ الخفقانِ ؟

---

* القاهرة : عام ١٩٣٩ .

لِمَ أرسلْتَهـــا ، وبالغتَ فيها ، ضَحِكاتٍ تَرِنُّ فى الآذانِ ؟

* * *

ثم قال الفؤادُ : يا عينُ كُفِّى لا تثيرى مَواضعَ الأشـــجانِ
ليس مَن مَرَّ فى طريقِكِ إلا شـــبحاً منه ظاهراً للعِيانِ

* * *

يا ليـــالىّ . . وَانجَلِى لا تَعُودِيـ ـهِ بما تُحسنينهُ مِن عَـــزاءِ
يا أماسِىَّ . . وَانطَوِى لا تعيشى بين دنياهُ عَذْبَةَ الإيحاءِ
يا أغانىَّ . . وَاصْمُتِى لا تَسُرِيـ ـهِ بمـــا تَحملينهُ من غِنائى
يا أمانىَّ . . واهْدَئى لا تُمـــاشيـ ـهِ ، ولا تَشْغَلِيهِ بالأشـــقياء
يا مآسِىَّ . . وَاسْكُتِى لا تَضِجِّى ودَعِيــــهِ يَعيشُ كالسُّعَداء
يا هواىَ الجريحَ ، يا شَجَنَ العُمـ ـرِ ، ويا زَحْمَةَ الأسَى والعَناَءِ
يا بَقايا الأشواقِ ، يا وحشةَ النفـ ـسِ ، ويا عُزلتِى عن الأحياءِ !
يا ضلالى المقيمَ ، يا قلقَ الرو حِ . . ويا كُلَّ هذهِ الأشياء !
كيف نحيـــا فى عالَمٍ أجنبىٍّ ليس فيه لخِطْونا مِن فَضاء ؟
ولماذا نَظَلُّ فيـــه حيارَى ونُقَضِّى الحيـــاةَ كالغرباء ؟

* * *

وأنا . . ! آهِ مَن أنا ؟ لست أدرى أىُّ شىءٍ أنا بهـــذا الفناء ؟

أأنا الطائرُ المرفرفُ يَشْــدُو بمعانِى الطبيعةِ العَــــذراء ؟

أأنا الشاعرُ المُوَكَّلُ فى الأر ض بِرَعْيِ العواطِف الجوفاء ؟

أم أنا العابرُ الحياةَ على الشو كِ غريبـــاً بغير زادٍ وماء ؟

أنا هذا وذاك . . فاعجبْ لروحٍ أسْـــلَمتْهُ الحياةُ للبُرَحاء !

الخـــروج*

« إلى التي رقصت مرة على
المنزلق معصوبة العينين ! »

قَبلَ أنْ تحْمِـلَ الشقـاءَ وتمْضِي
بيْنَ قَفْرٍ على الطَّـــريقِ ورَوْضِ
قِفْ رُوَيْدًا . . عَسَاكَ تقْضِي وأقْضِي
مَا علَيْنَـــا للعالَمِ المُنْهـــارِ . . !

* * *

هُنَا . . ! مَا هُنَا ؟ فوْقَ هذا الصَّعِيدِ ... على ذلكِ الشَّبَـــحِ الهامِدِ !
هُنَا . . ! ماهُنَا ؟ حوْلَ هذِي الشِّعَابِ ... وفي ضَجَّةِ الْفَـــزَعِ السَّائِدِ !
هُنَا . . ! ما هُنَا ؟ خلفَ هذا الضبابِ ... وفي قَبْضَةِ الْقَـــدَرِ الرَّاصِدِ !
هُنَا . . . عَيْـــلَمٌ مَائِجٌ بالْفَنَاءِ ... هنا . . الهَوْلُ يجْثُمُ كالْمَارِدِ !
هنا . . العُمْرُ مُنْتَحِرًا في الرِّمَالِ ... هنا . . مَنْزِلُ الشَّجَنِ الخالدِ !

* * *

مُرْجِعِي لِلْوَرَاءِ . . . كيفَ رُجُوعِي ؟
مُسْلِمِي للشتـاءِ . . . أين ربيعي ؟

---

* القاهرة : عام ١٩٤٠ .

ما لهذا الضبابِ يَغْشَى رُبُوعى . .
ويَصُبُّ المَـلاَلَ فِى أَشْعَارِى . ؟

* * *

رُوَيْدَكَ يا عاصفـاً بالحياةِ رويدكَ يا هازئـاً بالوُجودْ !
رويدكَ يا مُرْسِـلاً نِقْمَتَيْهِ على عالَمٍ شِـدْتُهُ لِلخُلودْ !
أتدخلُ هـذا الفضاءَ البهيجَ وتهدِمُ صَرْحَ الجمَالِ العَتيدْ ؟
أتَسْرِقُهُ صَـفْوَهُ الشاعرىَّ وتُلْقِى عليـهِ رِداءَ الجُمودْ ؟
رويدكَ يا فـزعَ الحالِمِينَ ويا مُقْبِـلاً بالشقاءِ المديدْ !

* * *

مَا احْتِمَالُ الهَـوانِ والطُغْيـانِ ؟
والرِّضَى بالجحيم والحِـرمانِ . . ؟
وعلى المجـدِ والهـوى والأمانى
تَتَجَـنَّى . . سفاهةُ الأقـدارِ !

* * *

رويدكَ ! ما هذه الحَشْرجَاتُ ؟ وما هـذه الصُّوَرُ الفاجِعَةْ ؟
أَهَذِى لَيـَالِىَّ ؟ ما شَأْنُها ؟ وأين مشاهدُها الرائعـةْ ؟
وهذى ؟ أأفراحُنا فى اللقاءِ ؟ وكيف تُطالِعُنى جازِعَـةْ ؟

وما لِلطُّموحِ ؟ وما لِلحنين ؟ وما للمُنَى هكذا قابعهْ ؟
فوَىْ للفناء . عَدُوَّ الحياةِ ومُطْفِئُ أَنْجُمِها اللّامعة !

* * *

يا بَقَايَا الأحلامِ والآمالِ
يا أناشيدَ عُزْلَتِى وابْتِهالى
لا تَعُدِّى علىَّ وِزْرَ ارْتِحالى
شَهِدَ اللهُ لم يكنْ باختيارى !

* * *

ودَاعًا ربوعَ النعيمِ القديمِ وداعًا هيا كلهُ المُوحياتِ !
أَأَخْرُجُ؟ كيف يكونُ الخروجُ؟ وكيف أُطِيقُ فِراقَ الحياةِ ؟
أأرحَلُ ؟ كيف وليلُ الشَّقاءِ يُطالِعُنِى بالرُّؤَى المُفْزِعاتِ ؟
وداعًا . . فماذا وقوفُ الفؤادِ بأطلالِ أشواقِه الهالِكاتِ ؟
ويا عالَمًا شِدْتُهُ ثم زَالَ سلامٌ عليكَ ! على الذكرياتِ !

* * *

يا معانِى الحياةِ لا تَتْبَعِينى
لا تُثِيرِى الضبابَ حَوْلَ سفينى

أو أثـــيريهِ بالرَّدَى تُسْعِـــدِينى

ما اعْتِزَازِى بالعيشِ فى غـيرِ دارى ؟

* * *

سوف أحيا . . لـكنْ لغــــيرِ مُرَادِ !

وأُغَـــنِّى . . لـكنْ بِقلبٍ جَمادِ !

ومِنَ الشَّوْكِ سوف أصنعُ زَادى !

وبهـــذا شاءتْ يدُ الأقـــدارِ !

بقية لم تسمعيها . . .*

كَنِّي دُعاباتِ الجنون . فما بَقِي
لهواكِ مَعْنًى يَرْتَجِيهِ وَيَتَّقِي . !

وهَبيهِ كالأمس البعيدِ . فَمَنْ له
في اليوم بالقلب القديم الشَّيِّق ؟

الطائرُ الصَّدَّاحُ . كيف تركْتِه
يَحْيا على جَمْرِ الظُّنونِ المُحْرِقِ ؟

أَسْيانَ مُضطربَ الرجاءِ ..؟ فيا لَهُ
مِن شامخٍ يَمْشي برأْسٍ مُطْرِقِ !

***

أَفأَنْتِ مَنْ عَرَضَتْ له بِفُنُونِها
كالزهرِ في فَجْرِ الربيعِ المُونِقِ ؟

أفأنتِ مَنْ طلعتْ بأفْقِ وُجوده
أَلَقاً مِن الصبحِ النَّديِّ المُشْرِق؟

أفأنتِ مَنْ سَحَرتْ رُؤاهُ فأقبلتْ
حسناءَ تخطرُ في السَّنا المتألِّقِ ؟

أفأنتِ مَن أَلقتْ على أيامِه
ظِلَّ السعاداتِ التي لم تُخْلَقِ ؟

أم أنتِ مَن أَقْصَتْه عن ملكوتِه
وجَفَتْ عوالمَهُ بغيرِ تَرَفُّقِ ؟

***

عجبي من الأيام ! أين رُؤاوُها ؟
بل أين باعثُ صفوِها المترقرقِ ؟

المنهضُ الآمالَ مِن عَثَراتِها
والمُلْهِمِي معنى الخلودِ المُطلَقِ ؟

أيامَ نَلْقَى في الطموحِ عُذوبةً
فنطيرُ في جَوِّ الطموحِ ونَرْتَقي !

---

* القاهرة : عام ١٩٤٠ .

أيامَ تُغرينا الحياةُ . . فَنَنْبَرِى   نَجْنِي لها الزهرَ الفريدَ ونَنْتَقِي !
أيامَ نزعمُ أننـــا برسالةٍ   عُلْويَّةٍ جِئْنا إلى الـكَوْنِ الشَّقِي !
أيامَ أَسْتَوْحِيكَ فَنًّـا بَاسِمًا   وأَزُفُّه ، كالنورِ ، حُلْمَ مُوَفَّقِ !
يَسْرى إلى العانينَ لَذَّةَ ناعِسٍ   ويُعيدُ للفانينَ رُوحَ مُحَلِّقِ !
وأعودُ أحملُ فى يَدَىّ إلى الوَرَى   قَبَسًا من الفرحِ النَّضِيرِ المُورِقِ !
واليومَ . . كيفَ هجرتِ عُشَّكِ وَارِفًا   ووَهَبْتِه للمنـكبوتِ الأحمقِ ؟
آهِ . . تلاشَى الحُلْمُ قبلَ كمالِه   وصحوتُ أخطو كالطليقِ المُوثَقِ
أخطو على الشوكِ البغيضِ وأَنْثَنِي   بجَنانِ مَشْبُوبِ الخواطرِ مُرْهَقِ !!

* * *

ما لى أُطِيقُ الدهرَ يَغْشَى هيكلى   باثنينِ : مجنونٍ وآخرَ مُوبَقِ ؟
ما لى يُطِيفُ بِيَ الظلامُ أنا الذى   بالأمسِ أَبْصَرْتُ الضياءَ مُطَوِّقِى ؟
ما لى أُحَلِّقُ فى مَداهُ وأنتهى   بجراحِ مطعونِ الفؤادِ مُمَزَّقِ ؟
ما لى على الأمواجِ أُسْلِمُ قُدْرَتِى   وإلى ضفافِ الوَهْمِ أَدفعُ زورَقِى ؟
وإلامَ تجنحُ للذبولِ خواطرى   وإلى الجفافِ يَصِيرُ فيضُ تَدَفُّقِى ؟
للهِ آمالٌ زحمتُ بها الوَرَى   واليومَ أُسْلِمُها لِلَحْدٍ ضَيِّقِ !

* * *

يا باعثَ الأشواكِ فى رَوْضِ المُنَى   ومُفَرِّقَ الأحلامِ . . أىَّ تفرُّقِ !

زعموكَ تَعْبَثُ بالقلوبِ كريمةً | لـكنني ما زلتُ غيرَ مُصدِّقِ
ما زلتُ أطمعُ أن تَرِدَّ كآبتي | وتُعيدَ إشراقي ، ورَوْعةَ مَنطقي
ما زلتُ أطمع أن أَراكَ بجانبي | كالأمس .. تمنحُني الرضاءَ فنلتقي
أتعودُ للعُشِّ القديمِ فيكتسِي | إمَّا دَرجْتَ به عُذوبةَ رَوْنَقِ ؟
أتعودُ .. ؟ قلْ : إني أعودُ ، فربما | تَشْفِي بعودِكَ كلَّ مُغْنًى مُقْلِقِ !

* * *

يا قلبُ .. لا تَنْثُرْ أَساكَ ولا تَطُفْ | بالذكرياتِ وجَوِّهِنَّ المُحْرِقِ
لا تُنْهِضِ الْأَوْجاعَ مِن أوكارِها | سَوْداءَ تَنْهَشُ كالمَغيظِ المُحْنَقِ !
ودَعِ الهُيامَ بِمَن أضَرَّك عِشْقُهُ | وإذا يَكُنْ بكَ مِن ذَماءٍ[1] فاعْشَقِ !

---

(١) بقية نفس .

أغنية الحقل*

هو ذا الفجـــرُ أرى طلعتَهُ   فَرَحًا يهمِسُ فى ظِلِّ النخيلِ
فَهَلُمِّى الآن يا بهجتَـــهُ   واملَئِى كفَّيكِ من عِطرِ الحقولِ !

* * *

العصافيرُ على الأيكِ النضـــيرِ
والأغاريدُ بأفـــواهِ الطيــورِ
والندَى الحالمُ فى شطِّ الغــديرِ
صُـــوَرٌ تشتاقُ وَهّابَ السرورِ

* * *

هُوَ ذَا الفجــــرُ أَرَى طلعتَهُ   فَرَحًا يهمسُ فى ظلِّ النخـيلِ
فهلُمِّـى الآن يا بهجتَـــهُ   واملئى كفَّيْكِ من عطرِ الحقولِ !

* * *

كالشَّذَى العابقِ فى فجر الربيعِ
كانطلاق النورِ فى الكونِ الوسيعِ
كتحـايا الطَّلِّ للعُشْبِ الوديعِ

---

* القرية : ربيع ١٩٤٠ .

أَقْبِلى يا زهرةَ الدنيـــا وضُوعِى

* * *

هو ذا الفجـــــرُ أرى طلعتَهُ فَرَحًا يَهْمِسُ فى ظِلِّ النخـيلِ
فهلُمِّى الآن يا بهجتَـــــهُ واملئى كفَّيْكِ من عطرِ الحقولِ !

* * *

يا ضياءً لمسَ الحقلَ فضـــاءً
ونسيماً شاعَ فى الحقــلِ رجاءً
وربيعاً ألهْمَ الطـيرَ الغِنـــاءَ
ليت ! يا ليتَ تُلبِّينَ النـــداءَ !

* * *

هو ذا الفجـــــرُ أرى طلعتَهُ فرَحا يهمِسُ فى ظلِّ النخيــــلِ
فهلُمِّى الآن يا بهجتَـــــهُ واملئى كفَّيْك من عطرَ الحقولِ !

* * *

لم أزلْ فى عالمَ الأمسِ البعــيدِ
لم أزلْ أحنو على الماضى السعيدِ
يا عزاءَ القلبِ فى هذا الوجودِ
ظمئتْ رُوحى إلى النورِ . . فعُودِى

* * *

هُو ذَا الفجـــرُ أَرَى طلعتَهُ   فرَحًا يهْمِسُ فى ظلِّ النخيلِ
فَهلِّمِّى الآن يا بهجتَـــهُ   وامْلَئِى كفَّيْكِ من عِطْرِ الحقولِ !

* * *

الليالى ! يا لأطيافِ الليـــالى !
زمرًا ترْقُصُ فى دنيا الخيـــالِ
زمرًا ترْقُبُ إشراقَ الجمـــالِ
فتحييهِ بشـــوقٍ وابتهالِ . . !

* * *

هو ذا الفجـــرُ أرى طلعتَهُ   فرَحًا يهمِسُ فى ظلِّ النخيلِ
فهــــلُمِّى الآن يا بهجتَـــهُ   واملئى كفَّيْك من عطرِ الحقول !

* * *

ما على الأيامِ لو نمشى الهوينى
فى طريق ينشرُ الأمْنَ علينـــا ؟
طال بى الشوطُ . . ولكنْ ما التقينا
فمتى ألقاكِ فى الدنيا ؟ وأينـــا ؟

* * *

هو ذا الفجـــرُ أرى طلعتَهُ   فرَحًا يهمِسُ فى ظلِّ النخيلِ
فـــهلُمِّى الآن يا بهجتَـــهُ   واملئى كفَّيْك من عطرِ الحقولِ !

حـــيرة . . . *

سَرَى فى الليلِ لا يَدْرِى إلامَا ... وأَوْغَلَ ما يرى إلاَّ ظَـلامَا !

أتدفعُـــهُ إلى الدنيـا شَرِيدًا ... فيَقْطعَها ابتِئاسًا واغتِماما ؟

ويَخْبِطُ فى الظلامِ . . أما كفاهُ ... ظلامٌ يَمْلأُ النفسَ احتِـداما ؟

رُوَيْدَكَ ما أصَبْتَ هوًى ورَأْياً ... وما خَلَّفْتَـــهُ إلاَّ حُطامَا !

* * *

ومُضْطَرِبِ الْخُطَى يمشى غَريباً ... بأرضٍ لا يَرَى فيهـا ابتساما !

كأنَّ فِجاجَها سئمتْ خُطاهُ . . ... فأمستْ لا تُنَـوِّلُه مَراما . .

وتخذُلُه الحيـــاةُ بكلِّ فَجٍّ ... وتُسلِمه لمـا تَهْوَى طَعـاما . .

علامَ يُطيقُها عَنَـتًا وجَوْرًا ؟ ... عـلامَ يَعيشُها بَرِمًا عَـلاما ؟

* * *

أُعِيذكَ أنْ تَظُنَّ به جُنُـونًا ... أتَزْعُمُهُ ؟ لقد سـاءتْ مُقاما

ويا زُمَرَ الفواجعِ لا تكُفِّى ... ويا ظُلَمًا أجَنَّـــتْه دَواما !

* * *

وذِى غُرَفٍ[1] كسا كِنِهِ رهيبٍ ... تَجهَّمَ للرِّياءِ وعنــــه صَاما

سَعَيْتُ إليه لمـا ضَلَّ سَــعْيى ... وأَخْلَفتِ المُـــنَى عامًا فعاما !

---

* القاهرة : عام ١٩٤١ .

(١) بيت الشاعر فى القرية .

سَعيْتُ إليه أُعْمِرُه بِروحى وأنزلُ فيه صَبًّا مُستهاما
فألقى مِلءَ ساحتِه قَبولاً وأبصرُ فى مَسالِكه اهتماما
وألمحُ فى طَوِيَّتهِ عِتاباً وأقرأ فى مُحيّاهُ كَلاما . .
فألبسُ فيه ظِلاًّ شاعِرِيًّا وأرجعُ فيه كالماضِى غُلاما
وكمْ من قِصَّةٍ مثّلتُ فيه شَفَتْ بَدْءًا ولم تُحْمَدْ خِتاما . . !

صرعى الأوهامْ

آنَ للمُدْلجِين أنْ يستريحُوا ... ولصرْعَى الأوهامِ ألاّ ينُوحُوا

آنَ أنْ يُدركُوا دموعَ التماسيـ ... ـحِ شِراكاً على الطريق تلوحُ

أوْغَــلُوا فى الحياةِ يومًا ظِماءً ... وبهمْ نشوةٌ ، وفيهمْ طُموحُ

ورأوْا فى الشِّعابِ حُسْنًا فباحوا ... بهــواهمْ ، وليتهم لم يَبوحوا

جَمَحُــوا خلفَ ظِــلِّه يَتبارَوْ ... نَ هُيامًا .. فمـــا أفادَ الجُموحُ !

وصُروحًا شادوا من الشعرِ للحُسـ ... ـنِ ، فما استوْقفتْهُ تلك الصروحُ

ثم آبُوا مُطـــرَّحِين حَيارى ... وبهمْ مِن مَــآبِهمْ تبريحُ !

إنْ يـكنْ منهمُ جريحٌ مُعنًّى ... فأنا ذلكَ المعـــنَّى الجريحُ !

***

أنتَ يا مَن يعيش فى الناس جسماً ... وهْو فى عالمِى بَهـــاءٌ ورُوحُ

لكَ قلبِى أسلمتُــــهُ يا حبيبى ... بُرْعُماً عِطرُه الذكىُّ يفـــوحُ

لكَ قلبِى ، وفيه دنيا من الحبِّ ، وكونٌ من المعانى فسيحُ

لِمَ لمْ تَجزهِ على الُحْبِ حُبًّا ؟ ... ولماذا لم ترْعَـهُ ، يا شحيحُ ؟

أعُقوقًا ، وقد صدقتُكَ حُبى ؟ ... أوِداداً ، والقلبُ منك ذبيحُ ؟

لا تَخَلْنِى .. أرضَى الهوانَ لنفسى ... الرضا بالهوانِ . عجزٌ صريحُ ! !

* أكسفورد : عام ١٩٤٦ .

يا حبيبي *

يا حبيبي.. إنْ تكنْ ضاعتْ مِن الدنيا الأماني
وانتهيْنا وانتهتْ أيامُنا قبلَ الأوانِ
ومَشى الموتُ على أشواقِنا في العُنْفُوانِ
وانْطَوى الماضِي الذي عِشْناهُ في يَمِّ الزَّمانِ
فلماذا .. كلما ألقاكَ تأبَى أنْ تَرانِي ؟

* * *

لا أنا شِئْتُ ، ولا قَدَّرْتُ .. أنا نَفْتَرِقْ
لا . ولا أدْرَكْتُ يومًا بأسَانا نحترقْ
لا . ولا قوَّضْتُ عُشَّ الحبِّ لَهْوًا بالنَّزَقْ
هو ذا الدهرُ .. وللدَّهْرِ فؤادٌ لا يَرِقْ
فلماذا .. كلما ألقاكَ تأبَى أنْ تراني ؟

* * *

يا حبيبي . يا أخا الروح قريبًا وبعيدًا
أنا مَن غناكَ في أشعارِهِ لَحْنا جديدًا

---

* لندن : عام ١٩٥٠

وأراكَ الـكونَ خُلدًا ، والهوَى حُلما سعيدًا
وأنا مَن بكَ يحيا ، ويَرَى فيكَ الوجودا
فلماذا . . كلما ألقاكَ ، تأبَى أنْ ترَانى ؟

* * *

يا حبيبى . . إنْ يكنْ فى الأرضِ لم يبقَ لنا
مَوْضعٌ نَبْنِى عليه من جَـديد عُشَّنَا
أو نـكنْ لمَ نَدْرِ حقا . . كيف نَرْعَى حُبَّنا
أو يكنْ ضاقَ بنا الدهرُ . . فما ذَنبى أنا ؟
ولمـاذا . . كلما ألقاكَ تأبَى أنْ تَرَانى ؟

* * *

يا حبيبى . . لاَ يدُ الدهرِ ولا كَرُّ الليـالى
لا . . ولا الـكَوْنُ وما فى الـكَوْنِ من كلِّ جَمالِ
يجعلُ الروحَ الذى يَهواكَ يَنْساكَ بحَالِ !
أبدًا . . أنتَ بقلبى وضَمـيرى وخَيالى
ولهذا . . كلما ألقاكَ أرجـو أنْ تَرَانى !

لو كنتِ لى . . *

أوَ تدرينَ أىَّ جُـــرْمٍ أتيْتِ
يومَ أنـكَرْتِ وَعْدَكِ المـأثورا ؟
يومَ فى نشـــوةِ الغُرورِ زَعمتِ
أنّ ما كان بيننا . . كان زُورا ؟

* * *

قلتِها . . كالقضـــاءِ سَهْماً مُطيحَا !
فإذا الجنـــةُ استحالتْ سَعيرا !
ثم خلّفتِ كبرياءً جريحـــا
وشجًى دائمـــا وقلبًا كســـيرا

* * *

كنتُ ، لو كنتِ لى ، مستطيعاً
أنْ أَرُدَّ اليبـــابَ رَوْضاً نَضِيرا
وأبُثَّ الحياةَ فَنًّـــا رفيعـــا
وأحِيـــلَ الظلامَ كوْناً مُنيرا

* * *

* مدينة إيشر Esher بمقاطعة سارى Surrey بانجلترة : عام ١٩٥٠ .

لِمَ أَحْيَا ؟ وكيف أَحْيَا ؟ ومَالِى
فى حيـــاتى مَــلَذَّةٌ أو غايةْ
كنتُ أَرْجُو بالأمْسِ بُعْدَ المـآلِ
كيف أرجُو فى اليومِ قُرْبَ النِّهَايةْ ؟

عَلِّمِينى*

عَلِّميني لُعْبَـةً أَلْهُو بِهـا عنكِ.. والحبُّ الذى قدمالَ عنَّا
واجْعَلِيها ، إنْ تشائى ، عِوَضاً عنكِ لى أَلْقَى بها أُنْساً وفنَّا
ضَحِكَتْ وانفجرَتْ باكِيةً : لم يكنْ أُلْعُوبَةً ما كانَ منا !

* * *

علِّميني خُدْعَـةً تُـهِمُني أننا لم نفترقْ رغمَ الفراقِ !
وبِروحَيْنا دَعينـا نَلْتقِي إنْ يكنْ فى الأرضِ قد عزَّ التلاقى
يا لَمَقْهُورَيْنِ .. أوْحَى صمتُها .. لم يَلِدْ حُبُّهما غيرَ الطَّلاق !

* * *

عَلِّميني حِكْمَةً فى طَيِّها بَلْسَمُ الرُّوحِ وتِرياقُ الجَسَدْ
يا حبيبى .. قالت العينُ التى عَرَفَتْ أنّا انتَهينا للأبدْ ! ..
كُلُّ ما فى الأرضِ مِن فَلْسَفَةٍ لا يُعَـزِّى فاقِدًا عمَّنْ فَقَدْ !

* * *

عَلِّمينى غنوَةً تَرْدِيدُهـا يَدَعُ المهجورَ يَنْسَى الحَاضِرا
يا حبيبى .. قال لى قَلْبُ التى كانتِ الشِّعرَ وكنتُ الشاعرا ..
ما جَرَى بالأمسِ .. حىٌّ أبَدًا كيف تُنسينا الأغانِى ما جَرَى؟

---

* على الباخرة من مارسيليا الى الإسكندرية : ٢٦ فبراير سنة ١٩٥١ .

الشك*

تَمثَّلَ كالماردِ الغاضبِ   وألْقَى عصاهُ إلى جانبي
وأرسلها زفرةً ثم قال: إلامَ يقينُك يا صاحبي ؟
إلامَ يقينُكَ يا ابنَ الخيالِ   بساحرِكَ الصادقِ الكاذبِ ؟

* * *

أجئتَ تُعذِّبُنى بالظنونْ   وتَسْلُبنى راحتِى واليقينْ ؟
أتزعمُ لى أنهُ ليس لى   وأنى سأشقَى به فى السنين ؟
وهبْنى تَبعتُك فيما تشيرُ   فكيف الحياةُ ؟ وماذا أكون ؟

* * *

ألم تَرَهُ زاهدًا فى هواكْ   يراكَ فيُيئِسهُ أنْ يَراكْ ؟
وقفتَ الشبابَ على حُبِّهِ   فلم تلقَ غيرَ الأسَى والهلاكْ !
لِغَيْرِكَ ألقَى زمامَ الهوى   ففيمَ الهيامُ بِمَن قد جفاكْ ؟

---

* على الباخرة من الإسكندرية إلى مارسيليا : ٤ مايو ١٩٥١ .

أحبـــك . . *

أُحبُّكِ صادقــةً كاذبةْ

أحبكِ راضــيةً غاضبةْ

أحبكِ حاضرةً غائبــةْ

أحبكِ هادئةً صاخبــةْ

أحبكِ مُذْنِبـــةً تائبةْ

أحبكِ مخطئــةً صائبةْ

أحبكِ عازفـــةً راغبةْ

أحبكِ قاســـيةً حادبةْ

أحبك..دُونَالورَىقاطبةْ !

* * *

أحبـــكِ واصلةً هاجرةْ

أحبـــكِ قاسيةً ذا كرةْ

أحبـــكِ عادلةً جائرةْ

أحبـــكِ جاحدةً شا كرةْ

---

* لندن : عام ١٩٥٢ .

أحبكِ مغمورةً ظاهــرةْ
أحبكِ ذابــــلةً ناضِرةْ
أحبك مؤمنــةً كافرةْ
أحبكِ دنيا . . وفى الآخرة

ختام المأســـاة . . !*

بعدَ سَبْعٍ من السنينِ وعَشْرِ ... بينَ أَدْرِي وبين لا .. لسْتُ أَدْرِي!

وَضَحَ الحقُّ مُؤْلِماً . . وتَجَلَّى ... سِرُّنا العبقريُّ عن غيْرِ سِرٍّ !

إنْ يكنْ لم يُحبَّ قلبُك قلبي ... فلماذا أطلتِ في التِّيهِ أسرِي ؟

ولماذا تركتِنِي دُونَ وَعْيٍ ... في هوىً لم يكنْ . . أضيِّعُ عمرى ؟

وختامُ المأساةِ . . هل أنا أحببْـ ... ـتُكِ؟ أم كنتُ حالماً طولَ دهرى؟

إيهِ « ليلى » .. أأنت ليلاىَ ؟ هذا ... كان وَهْمِي . حتى تبيَّنتُ أمرى !

بخيالِي خَلَقْتُ غيرَكِ « ليلى » ... وعليها وقَفْتُ حُبِّي وَشِعْرِي !

---

* لندن : أكتوبر ١٩٥٢ .

لغـــة الثغور *

لُغَـةُ الـكلامِ لغيرِنا ولمثلِنا لغـــةُ الثغورِ !
كلماتُها القُبَلُ الفِصَاحُ .. وشِعْرُها أرَجُ العبيرِ !
ليتَ الثغورَ تبوحُ بالسِّرِّ المغيَّبِ فى الصدورِ
وتبوحُ بالُحبِّ المبرِّح فى الضُّلوعِ وفى الضَّميرِ
وتضِجُّ بالشَّـكْوَى من الحرمانِ والهجرِ المريرِ
وتَقُصُّ مأْسَاةَ المُعَذَّبِ .. والمُعذَّبِ فى السعيرِ !

---

* لندن : عام ١٩٥٤ .

مأساة عمري *

نداكِ مِن خَلَلِ الغُيوبِ

ودعاكِ بالصوتِ الحبيبِ

ومشى إليكِ على المروجِ الْخُضْرِ كالنَّغَمِ الطَّرُوبِ

في صدرهِ وَهَجُ الشبابِ ورأسِهِ أثرُ المشيبِ

نشوانُ يحلُمُ بالمُنَى في ظِلِّ شاطئكِ العجيبِ

هَيمانُ يَعدُو خافَ طَيْفِكِ في هوًى وجوًى غريبِ

فيراكِ في الليل الغريب ، وطلْعةِ الفجرِ القشيبِ

ويراكِ في ألَقِ الصباحِ ، ومَيْعَةِ الغُصْنِ الرطيبِ

ويراكِ في فرَحِ الشروقِ ، وفي تهاويلِ الغُروبِ !

ويراكِ في صُــــورِ الربيعِ مُضمَّخاتٍ بالطُّيُوبِ

ويراكِ في لُطْفِ النَّدَى.. في الحقلِ.. في الروضِ الخَصيبِ

في الجدولِ المُنسابِ . . يَهْزِجُ للبعيد . . وللقريب

في أغنياتِ الطيرِ تدخلُ بالعزاءِ على القلوبِ

في كلِّ معنًى مِن معاني الحسنِ في الكونِ الرحيبِ

* * *

* القاهرة : عام ١٩٤١ . عثرت على هذه القصيدة حديثا بين أوراق قديمة . وكان من حقها أن تنشر ضمن القصائد التي نظمت عام ١٩٤١ ، ولهذا رأيت إثباتها هنا .

أدعوكِ ياهِبةَ السماء .. ووَاحةَ العمرِ الجديبِ !
مأساةُ عُمرِى أننى أحْيَا الحيـــــاةَ بلا حبيبِ !
وأجوبُها .. نَهْبَ الأسَى ، وضحيَّةَ الأملِ الـكَذُوبِ !
وأخوضُهـــــا .. مُستنقعاتٍ مُفعَماتٍ بالذنوبِ !
وأدورُ حولى لا أرى غير المـآسِى والخطوبِ !
وهوانِ أمجادِ الورَى وضراوةِ القدَرِ الغضوبِ !

* * *

أدعوكِ ياهبةَ السماء .. ووَاحةَ العمرِ الجديبِ !
أدعوكِ للقلب الجريح فأدركيهِ كالطبيب !
أتُرَى تُلبِّين النـداء .. نداء مغتربٍ كئيبِ ؟
لَغفَرْتُ للماضى أَذاهُ .. إذا وجدتُكِ مِن نصيبِى !


خواطر



الطلل البـــالى *

هو رَبْعٌ طَامِسُ العَهْدِ خربْ مُظْلِمُ الأَرْجَاءِ مفقودُ القَطينْ

كان بالأمسِ يُوَشِّـيهِ الصِّبَا

وعلى دَارَاتِهِ العـــزُّ حَبَا

لَهْفَ نفسى ، ما لَهُ اليومَ خَبَا

ضَوْءُهُ الزَّاهِى ووَلّى واحتجبْ بينَ طَيَّاتِ الليالِى والسنينْ ؟

تتمَشَّى بينــهُ الريحُ فلَا

تَلْتَقِى إلا بأمـــواجِ البِلَى

عاصفاتِ المَـــدِّ تَذْرُو ما عَلاَ

بينما الرَّبْعُ حزينٌ مكتئبْ سَاعِرُ الأحشاءِ مكبوحُ الأنينْ !

خَيَّمَ الصمتُ عليـــه والعَدَمْ

وحَنَاهُ الدهرُ إحنَاءَ الهَرِمْ

وهُوجَاثٍ .. لم يُهَوِّمْ أو يَنَمْ !

وصُروفُ الدهرِ تَرْنُو عن كَثَبْ عَلَّهُ يُغْفِى فتَصْلِيــهِ المَنونْ

مَسْرَحُ الماضى ورَمْزُ البسماتْ ؟

---

* حى الناصرية بالقاهرة : عام ١٩٣٠ .

مَوْطِنُ الْجِرْذَانِ .. مَأْوَى الحشَراتْ ؟

مَطْلَعُ الأفلاكِ .. مَهْوَى النَّيِّراتْ ؟

عجباً يأيُّهَا الدهـــرُ عجبْ فِعْلُكَ الطائشُ بالرَّبْعِ الأمينْ !

زُرْتُهُ والنفسُ يَوْمَـــا ثائرةْ

فإذا الرَّبْعُ عيـــونٌ ناظرةْ

وإذا الأشـــباحُ تَهْفُـــو نافِرَةْ

وإذا الهـــاتفُ مِنِّي يَقتربْ يُرْسِلُ الحكمةَ فى رِفْقٍ ولِينْ

أيُّهَا الواقفُ بالرَّبْعِ .. اتئـــدْ

وَاحْبِسِ الأنفاسَ إجلالاً فقـــدْ

غالَنا غُولُ الفنـــاءِ المستبدْ

فَغَدَوْنا مثلَ نارٍ من حطبْ تخدَعُ السَّارى وتَخْبُو بعدَ حِينْ !

فتَنَظَّرْ .. هل تَرَى إلاَّ رُسُومَا

عَابسَـــاتٍ تملأُ النفسَ وُجوما

أكبرَ الدهرُ عليهـــا أنْ تدوما

فإذا القائمُ منهـــا مُنْشَعِبْ وإذا الرَّبْعُ يُغَشِّيهُ السُّكُون ..؟

غيرة*

« مهداة إلى كل زوج غيور »

أجهدتَ نفسَكَ واقفاً .. فمتى تحنُّ إلى القعودْ ؟
وقضيتَ عمرَكَ غارقا .. بين التفكُّرِ والشرودْ
تُنْحِى على القدرِ العنيدِ .. رماكَ بالقلبِ العنيدْ !
حيرانَ تسبحُ فى دياجى الحزنِ والألمِ الشديدْ
حيرانَ لا تدرى .. إلى أين النجاء من القيودْ !

* * *

هدِّئْ جنونَكَ ما استطعتَ .. فليس ينفعُ أو يُفيدْ
أمِنَ الكرامةِ أن تسير وراءها سيرَ العبيدْ ؟
هىَ لا تريدكَ حاكماً .. يقضى عليها بالكنودْ
أو حارسًا يقفو خُطاها فى القيامِ وفى القعودْ

* * *

أنا لا أقولُ بأن تسرِّحَها تسيرُ كما تريدْ
لك أن تراقبَها كما تبغى .. ولكنْ من بعيدْ !
فى فِطنةِ الرجلِ الذكىّ .. وحكمةِ الرجلِ الرشيدْ

---

* القرية : عام ١٩٣٠

حــلم الوردْ

نَبَّهَ الوردَ من الْحُلْمِ السَّعيدْ صَدْحَةُ الطائرِ فى جَوْفِ السحَرْ
وتَغشَّى الصوتُ باللحنِ الفريدْ فى ظِلَالِ الدَّوْحِ والرَّوْضِ العَطِرْ
وهفاَ الطائرُ يَسْتَوْحِى الخَيَــالْ
يَسْرِقُ الألحانَ مِن وَادِى الجمالْ
فإذا الألحانُ ..أنفاسُ الوُرودْ !
زَفَّها الفجرُ الوليــدْ
بابتســـامْ !
غَمْغَمَ الطائرُ فى ظِــلِّ الشَّجَرْ يسألُ الوردَ عن الْحُلْمِ الجديدْ
فرنَا الوردُ بعـــينِ المُخْتَبِرْ ومَضَى يُلْقِى عليـه ما يُريدْ :
قد عَرَفْتُ السرَّ فى هذا الوجودْ
وعرفتُ العـــلمَ كالجهلِ يُبيدْ !
ليتنى لم أدْرِ ما سِرُّ المـآلْ
لَا .. ولَا الدَّاء العضالْ
فى الأنامْ !

---

* القرية : صيف عام ١٩٣١ .

شَبَّهُوا بالوردِ مُحْمَرَّ الْخُــــدودْ حَشَدُوا فى الروض ألوانَ الزَّهرْ

وانثنى اليـائسُ منهم والطريدُ يَطْلُبُ السَّلْوَى من الرَّوْضِ النَّضِرْ

وَيْحَهُمْ . . مِن بعدِ ما طاحَ المَلالْ

وتولَّى اليـأسُ عنهـم والـكَلالْ

يَسْبِقُونَ العمرَ فى حُمْقٍ شديدْ

فإذا الوردُ . . شهيــــدْ

فى الفِطــــامْ

تَذْرَعُ الآفاقَ فى لَمْحِ البَصَرْ وتَطُوفُ الـكونَ كالطيفِ الشريدْ

تَمْسَحُ الآلامَ عن كُلِّ ضَجِرْ برقيقٍ من أناشــــيدِ الخلودْ

ويُراشُ السهمُ . مِن قاسٍ عنيـدْ

بين أمواجِ الأغانى والنشـــيدْ

فإذا الرأسُ على الصدرِ مُمالْ !

وإذا العمرُ خيـــالْ

فى المنـــامْ !

والفتى الماجدُ ذو الرأيِ السـديدْ يَشْـتَرِى المجـدَ بساعاتِ العُمُرْ

ويُضِيءُ الـكونَ . . بالعقلِ الرشيدْ بِخصيبِ الرأيِ . . أو صافِى الفِـكَرْ

وإذا المجـدُ على العمـرِ استطالْ

وغدا الماجـــدُ ممنوعَ المنالْ

دَلفَ الموتُ إلى القلبِ الوحيدْ

فإذا المجـــدُ . . فقيدْ

فى الرَّغَــامْ !

وسَرَى اللحنُ بهمْسٍ وحَــذَرْ　　فى حَواشِي الرَّوْض مشدودَ القيودْ

فتلاشَى الحلمُ فى وادى العِبَرْ　　وصحا الحالمُ مِن بين الورودْ

فإذا الروضُ ، كما كان ، يَميدْ !

وإذا أنتَ على الغُصْن فريدُ !

وإذا الفجرُ يحيِّي فى اختيالْ

وينـــادى : ألنضالْ

يا نيـــامْ !

رَفْرَفُ الطائر فى همٍّ جَهيـــدْ　　وسَما فى الْجوِّ عن وَادِى الغِيَرْ

يُنْذِرُ الكونَ بِوَعْدٍ ووعيـدْ　　ويُغَنِّى بأناشـــيدِ القـدرْ

أيهذا الكونُ . . يا رمزَ الزوالْ

إنما أنتَ ضلالٌ فى ضـــلالْ !

ينتهى الصائدُ منَّا والمَصيدْ

وإذا الكونَ يعُـودْ

للظـــلامْ !!

أنا والحيـــاة*

لكَ الخيرُ . . لا تذكُرْ لىَ الشرَّ إننى ... لَيحزُنُنى أن أقعدَ الدهرَ شاكيا

تخافُ على الدنيا تَمرُّدَ شاعرٍ ... وهلْ ظالمُ الأيامِ مَن عاشَ زاويا ؟

أيا طالما كرّتْ عليه صُرُوفُها ... فلم يُلفَ مكظومًا ولم يُلْفَ راضيا !

أللشرِّ تدعُو..أم إلى الخيرِ فى الورى ؟ ... إذا كانتِ الأُولى..فلا كنتَ داعيا

فما أنا مَن يُلقى مع القومِ دَلْوَهُ ... ولا أنا مَن يَبْغى الحياةَ كما هيا !

* * *

ألا خَلِّ عنك الأمرَ لستَ تُطيقُهُ ... فللأمرِ أقوامٌ تُطيق الدواهيـــا

ودعنى لأفكارى . . فلا أنا منكمُ ... ولا أنتمُ منى إذا كنتَ ناسيا

أعِفُّ عن المَيْنِ اعتزازًا ورِفْعَةً ... وأَصْدُقُ لا أرجو على الصدق جازيا

ومَنْ يكُ مفطورًا على النُبلِ والحِجا ... أبَى أن يظلَّ العمرَ سكرانَ صاحيا

* * *

أتُـلزِمُنِى فى الحق ما ليس مُلْزِمًا ... وتدفعنى للموتِ ؟ يا لك جانيا !

وترجو لىَ الأسعاد بالسَّرْحةِ التى ... تُحيلُ جديبَ العيشِ أخضرَ ناميا ؟

وأنعمُ بالأبناء . . أشــــقَى بهمِّهمْ ... وكالناس فى الدنيا.. يَرَوْنَ التفانيا ؟

---

* القرية : صيف عام ١٩٣١ .

فلا هى تَجزيهم على الحبِّ نِعمةً — سوى اليأسِ مجنونا، أو الذلِّ طاغيا ؟
أأنفعُ هذا الـكونَ ؟ يا لك عادلاً ! — ولما أذقْ إلا الخطوبَ تواليا ؟
وتخدعنى الدنيا ببارقِ زَيْفِها — فأمنحَها منِّى الهوَى والتدانيا ؟

* * *

سأبقَى على الدنيا .. خيالا مُشا كسًا — يبـــدِّدُ أحلاما ويُقْصِى أمانيا !
أجانِبُهـــا فى كلِّ شأنٍ توَدُّه — وأعْقِلُ عنها ، ما قدَرتُ ، لسانيا
وأرغب عنها .. لا أوَدُّ وصـــالَهَا — هو الشرُّ مَجْلُوًّا ، هو الموتُ حاليا
بعيدًا وحيدًا .. غيرَ نفسى وخاطرى — سعيدًا بأن أحيا مدَى العمرِ خافيا
ويوم تملُّ النفسُ كلَّ رغيبـــةٍ — وتذبلُ آمالى وأجْفُـــو حياتيا
سأحرِقُ أشعارى وكلَّ خواطرى — وأخرجُ منها .. لا علىّ ولا لِياَ !

شعرى إلى نفسى*

إليــكِ يا نفسُ أشجانى وأفـكارى
قد ضقتُ ذرعاً بهـــا مشبوبةَ النارِ
لم ألقَ قلبا بهذا الـكونِ يفهمُنى
أهدى إليـــه أغاريدى وأشعارى
أمسى وأصبحُ لا قلبٌ فيؤنسُنى
حتى كأنى غريبُ الأهـــلِ والدارِ !

* * *

يا مصدرَ الوحيِ والإلهامِ . . معذرةً
تلك الأغاريدُ لم تُخلَقْ لأحجارِ !
أشقيتِنى زمنا للنــــاس . . أُطربهمْ
برائقِ اللحنِ مِن أنغامِ مِزمارى
والناسُ تُخدَعُ عن وَحْيِ السماء بما
يَهْـذِى به كلُّ أفّاقٍ ومِهـــذارِ

* * *

* القاهرة : عام ١٩٣١

فاستقبلى اليومَ وحْياً أنتِ مصدرُهُ

تلك الرسـالةُ . . لم تسعدْ بأنصارِ !

وإن شَقيتِ بها مثلى . . فوَا طَرَبى

أن تُصبِحى نَهْبَ أحزانٍ وأكدارِ

ما كان أسعدَنى فى الـكونِ أجمعِهِ

لو رحتِ تَلهين فيه . . لهوَ أَغْرَارِ !

* * *

جوزيتَ يا زمنى ! لا أنت تَسْحَقُنى

فأستريحَ . ولا تُصغِى لأوتارى !

إن كان فى الكون مَن يَزرِى عليك بلا

رفقٍ . . . فإنِّى ذاكَ المفردُ الزَّارِى ! !

أنا وقلبي *

أنا :

مَن لى بدنيا الهادئينا يومًا فأطَّرِحَ الشجونا
وأعيشَ عيشَ الوادعِينَ الباسمين الآمنينا ؟
يا قلبُ . . ما لكَ ضيقًا حَرَجًا ، وما لكَ مُستكينا ؟
وإلامَ تصطحبُ الأسَى وتعيشُ عيشَ الزاهدينا ؟
أنا لا أطيقُ بأن تعيشَ العمرَ محروما غَبينا
متألما بين الأنا م وهُم بشأئكِ يهزءونا
فانعمْ بما نَعِمُوا . . ولا تذكرْ لىَ العهدَ الحزينا
فلعلنى أنْسَى حياةً قد بَرِمتُ بها سنينا

قلبى :

هوِّن عليكَ . . فما بدَا لك فى حياةِ العالَمينا ؟
الناسُ تعبثُ بالجمالِ وتملأُ الدنيا مُجونا
يتزاحمون على السرابِ كدَأْبِهِمْ مستبسلينا
يأتون ما تَندَى الجباهُ له ولا يَتورَّعونا !

---

* القاهرة : عام ١٩٣١ .

إن قيل: « حيٌّ على الفسا   دِ » رأيتَهم يتنافســـونا!
أفتستطيـعُ بأن تــكونَ   اليـــومَ إبليسَ اللعينا؟
إن لأبرأُ منـــكَ إنْ   تَسْـكُنْ لدنيـــا الخاطئينا

***

يا ويحهمْ لو يعلمـــو   ن مآلَهم لو يعلمـــونا!
عبدوا الحياةَ.. فما لهم   فُتِنُوا بزُخـرُفِها فتونا؟
لو تســتطيعُ تـــكلُّما   لبـــدَا لهم ما يجهلونا!
إن الحيـــاة.. ولا أشوٌّ   هُها بعـــين العاشقينا..
أَمَةٌ.. فمَـنْ يهْوَى الإما   ءَ وهُنَّ يُؤْذِينَ العُيونا؟

***

أنا:

يا قلبُ قَدْكَ[1]، ولن تُرا   نى جازعًا كالجازعيـــنا
سأعيشُ بعـــدَ اليومِ لا   أشكو الشقاءَ أو الشجونا
سأعيش كاللحنِ الرقيـ   ـقِ يُثير في الـكونِ الحنينا
سأعيش كالحـــلم السـ   ـعيـــدِ يَزورُ دنيا الحالمينا!
سأعيش كالمعـــنى الشريـ   ـفِ محبَّبا للشاعـــرينا!
أما التـــبرُّمُ بالحيـــا   ة.. فإن ذلك لن يــكونا
عَهْــدٌ أودِّعـــهُ. وإنى   لا أزالُ به ضَـــنينا!

(1) حسبك.

يوم الخلاص *

دعْنى أُبَشِّرْ دولةَ الشعرِ

بخلاصِ عَيْلَمِها من الأَسْرِ !

دعنى أبشرْها فكم سكبتْ — حَرّ الدموعِ على الفتى الحُرِّ

... ...

ما كان أحوجَ نهضةً درجتْ — أن تستظلّ بقادةِ الفكرِ !

* * *

خلِّ العيون يجفُّ مَدمعُها — وتهلّلى .. يا دولةَ الطيرِ

وصَافُ لحنِكِ عاد يسمعُه — فتأنَّقى فى لحنِك السِّحرى

« عباس » أعرفُ شاعرٍ فَطِنٍ — بلُغَى الطيورِ ، وحبِّها العُذرى

يسخو عليكِ بفيْضِ خاطرِه — فى همسةٍ كطلائعِ السِّرِ !

* * *

دعْنى أبشِّرْ دولةَ الشعرِ

بخلاصِ عيلمها من الأسرِ !

الكاتبِ السامى بفكرتِه — والشاعرِ الفياضِ .. كالبحرِ !

فى كل بيتٍ من قصائدِهِ — ذوبُ الحياةِ ، ورَوْنقُ الشعرِ

---

* القرية : صيف عام ١٩٣١ . قيلت هذه القصيدة تحية للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد عند خروجه من السجن بسبب المقالات الوطنية التى نشرها بعنوان « الرجعية والرجعيون » مهاجماً بها وقتذاك سياسة القصر الملكى البائد .

ماذا تحِسّ بها إذا خطرَتْ ؟ تَشجيك أم تأسُوك ؟ لا أدرى !
فيها الحياةُ بكل ما وسِعَتْ من مُيْئِسٍ أو منظرٍ مُغْرِ
وعلى حواشيها التى ازدهرتْ نورُ اليقينِ ، وومضةُ الفكرِ

***

كم ليلةٍ أحييتُها قلِقاً : يأسٌ ينوشُ ، ومَدمع يجرى !
ويظلّ قلبى كلما عرضتْ ذكراك يجنحُ للأسى المُرِّ
أُمْسِى وأصبحُ ، ليس يَشْغَلُنى غيرُ الحنين يؤُزُّ فى الصدر
وغدتْ بعينى كلُّ عامرةٍ خِلْوًا من الإيناس . . كالفقر !
وأزورُ كلَّ محلةٍ شهدتْ إخلاصَنا فى سالفِ العُمْرِ
فأُبُثُّها شوقى على ظمأ وأظل كالمسحورِ من أمرى !

***

والداءُ يُقلق أنفسا عرفتْ فيكَ الوفاءَ ، ونعمةَ البِرِّ
إنْ قيل إن الداءَ محتدمٌ ذُعِرَ الفؤادُ ، ولَجَّ فى الذعْرِ
وإذا البشائرُ بالشفاءِ سرتْ سُرَّ الفؤادُ ، وفاضَ بالبِشْرِ ..

***

مالى أثير مواجعى بيدى ؟ وإلامَ أشكو وَقْدَةَ الجمرِ ؟
اليومَ عادَ لمصرَ خادمُها عَلَمُ البيان ، وشاعرُ العصرِ
فليهدإِ القلبُ اللجوجُ إذن وليبتهلْ للهِ . . بالشكر . . .

عـــزاء*

عزاءً أيها القلبُ الـكليمُ
عزاءً ليس إخلاصٌ يدومُ

تريد من الزمان أخاً كريماً فيُخلفُ ظنَّك الدهرُ اللئيمُ !
أتبكى .. ؟ لا . فما يُجدى بكاءٌ بقلبٍ داؤهُ اليأسُ العقيمُ
ومن نُوَبِ الحوادثِ والليالى تُغشّيك الـكآبةُ والوجومُ ؟
فتجزعُ إذ رأيتَ فتى أريباً يضيعُ ببابِهِ الودُّ القــديمُ
فتخدعُهُ المظـــاهرُ كاذباتٍ وتَشْغَلُهُ المدامةُ والنـــديمُ
عن القلبِ الذى ما انفكّ يحنو عليه ، وإن تزاحمتِ الهمومُ ؟

* * *

عزاءً . أيُّها الأملُ المسَجَّى عزاءً. أيُّها القلبُ الـكظيمُ
إذا ماشئتَ أن تحيا سعيدًا تصافِحُكَ الهنـــاءةُ والنعيمُ
فعشْ كالناسِ .. لاتحفِلْ بمَن قد يُفارقُ منهمُ ، أو مَن يُقيمُ !

* القرية : عام ١٩٣١ .

خواطر الشتاء*

كان قلبي يومَ وافاهُ الربيعْ | في شباب العمرِ .. والعمرُ الشبابْ ..
وارفَ الأفياءِ ، مخضلَّ الفروعْ | باسمَ الأزهارِ ، فينانَ الرحابْ

* * *

تعبث الآمالُ في أوتارهِ | فيغنى بأناشيد المُنَى . .
نغمةً توحِي إلى سُمّارهِ . . | ليتنا نحيا مع الحسن هنا

* * *

وعلى أعوادهِ الطيرُ وقفْ | يستحثُّ الهمَّ ترجيعُ حنينهْ
يُرسل اللحنَ شجيًّا فيشِفْ | عن سُعار الشوقِ أو فيض أنينهْ

* * *

والنسيمُ الطلقُ يُغرى بالسمُوْ | فتخفُّ النفسُ تسمُو صُعُدَا
ما تُراهُ في رَواحٍ وغُدُوْ | غيرَ روحٍ جازَ في الطُّهرِ المَدى

* * *

ومشى في الروضِ إعصارُ الشتاءْ | فإذا الروضُ تعرَّى مِن حُلاهْ
وإذا الأزهارُ في كفِّ الفناءْ | تتراءى بين غَفْوٍ وانتباهْ

* * *

---

* القرية : شتاء عام ١٩٣١ .

وإذا السُّمّارُ لاذوا بالفِرارْ .. يتقون الهولَ مِن عصفِ الرياحْ!
وإذا الطيرُ تحاماهُ فطارْ وإذا الأنغامُ فى السمع صِياحْ!

***

وغدَا الروضُ ولا شىءَ بهِ غيرُ آثارٍ لعهـدٍ منصرمْ
وشجونٍ عصفتْ فى رَحْبِه فهْو منها فى وُجومٍ وألمْ!

***

ذلك الروضُ الذى أضحى هشيماً هو قلبى! يا لَقلبى الدارسِ!
عصفَ الريحُ به عصفاً أليماً فإذا القلبُ كرَبْعٍ طامسِ!

***

أَتُرَى يَخْضَلُّ مِن بعد الجفافِ ذلك القفرُ الذى بين الضلوعْ؟
فى ربيع العمرِ.. لو كان يُوافى! ومتى تُقبلُ أيامُ الربيعْ...؟

عيد اليائس*

اهنئُوا بالعيـــدِ والْهَوْا واطْرَبُوا

يا بنى العيدِ ، وضِجُّوا واصْخَبُوا

فإذا نحن به لم نبتســـمْ

وقعَدْنا عنـكمو ، لا تغضـــبوا

كتبَ اللهُ لنـا مِن دونـــكم

شِقْوَةَ العمرِ ! فأين المهـــربُ ؟

* القرية : عام ١٩٣١ .

هبــــة شاعر *

وهبتُ الذى يَشْفِى الفؤادَ من الأسَى

ويَعْصِمُهُ من كلِّ داءٍ مخــــامرِ

قصيدةَ مَدْحٍ .. لم يَقُلْ بعــدُ مثلَها

قؤولٌ .. ولم تَخْطُر بفــكرةِ شاعرِ !

---

* القرية : فى صيف ١٩٣١ .

الممثـــــلة*

أهلاً بطلعتكِ المنـــيرةْ يا ربّةَ الفنِّ القـــديرةْ
أهلاً بجسمكِ ذى الجـلا لِ ، وبابتسامتكِ الغريرةْ
ما أطفئـــوا نورَ المــكا نِ ، وأَسْدَلُوا فيه سُتوره
إلاَّ لِوَجْهِك قـــد بدا بين المــكانِ لـكى يُنيرَه !

* * *

لله خالقـــةُ السرو رِ لـكل مُفْتَقِدٍ سُرُورَه !
لله مضرمـــةُ الجوا نحِ بالهوى نَصْلَى سَعيرَه !
لله مُرْهِقـــةُ الخـــوا طرِ .. فى سياحتها القصيرةْ !
لله أنتِ .. فأنتِ غـــا يةُ هذهِ المُهَجَ الـكثيرةْ !
لله أنتِ .. ففيـــك يلـ قِى كلُّ مُرْتَقَبٍ بشـيره !
يلقى المحبُّ بك الحبيـ بةَ والعشيقةَ ، والسميرةْ
ونرى بك الأضـــدادَ تبـ دو ، فى مشاهدِها المُثيرةْ
فـنرى المحبـــةَ والعدا وةَ ، والسهولةَ والوُعورةْ
ونرى التهلّلَ والبُـكاَ ونرى السلامةَ والخُطورةْ

---

* القاهرة : عام ١٩٣٢ .

ونرى النضـارةَ والذبو لَ يُثير أدمعَنا الغزيرةْ
ونراكِ فى القصر المشيـ ـدِ وساَحَةِ الدارِ الحقيرةْ

***

أهـلاً بطلعتك المنيرةْ يا ربة الفنِّ القـديرةْ
ألَّفتِ ما بين الأميـ ـرةِ والشريفةِ والأجيرةْ
وأزلتِ آلافَ الفـوا رقِ بعد ما كانت عَسِيرَة
وَنقَلْتِـنَا فى لحظـةٍ للنورِ .. للدنيا الكبيرةْ
وأقمتِ ما بين العـوا طفِ أىَّ حربٍ مستطيرةْ
فإذا تُتَوِّجُكِ القـلو بُ فأنتِ بالتاجِ الجديرةْ

تمنى القـــــدر *

لو أننى القَدرُ المسيطرُ فى الورَى

لجمعتُ كلَّ الحسنِ بين يَدَيَّا

وجعلتُه وقفاً على عُبّـــادهِ

مَن سبّحُوهُ بُكرةً وعَشيًّا !

* ميت غمر : عام ١٩٣٢ .

الشر والخـــير *

هذه الأرضُ يمرحُ الشرُّ فيهـا ... انظروهُ يسـير كالنشـوانِ !

بين قوم ٍ.. من خوفهم طأطئوا الها ... مَ ، وخـرُّوا له إلى الأذقان

وأقاموا عليه غـــيرَ نطاقٍ ... من سـيوفٍ صقيلةٍ وسِنانِ

وعلى رأسـه أثاروا سـحاباً ... من نُسُـورٍ قويةِ الأبدانِ

كلُّ مَن شاء أنْ يُشير إليها ... أسلمتْهُ السـيوفُ للعِقبان !

* * *

وترى الخيرَ فى كسَاءٍ زرِىٍّ ... بين جَمْعٍ من صَفْوَةِ الإخوانِ !

مِن فَقيهٍ يحدِّثُ الناسَ فيـه ... فى بيانٍ ، أعذبْ به من بيانِ

ورسولٍ يصوّر الخيرَ شِـعرًا ... جلَّ وَقْعًا عن مُطربات المثانى

وأخى ريشـةٍ تأنَّق فى تز ... يينـــه بالنقوشِ والألوانِ

وحواليه من شياطين دنيـا ... نا جموعٌ تَهْذِى بكل لسان :

أُنْظُروا وجهَهُ تَرَوْهُ كئيباً ... غائضَ البشرِ ، زائغَ الإنسانِ

واجفَ القلبِ سادرَ الخطو يمشى ... فى ذُهولٍ كالتـائه الحـيرانِ

أسـلموهُ إلى الفناءِ ، وناموا ... تستريحوا من ذلك الهذيانِ !

---

* القرية : عام ١٩٣٢ .

اليتيم*

«ألقيت هذه الأبيات فى حفلة خيرية
أقامتها إحدى الجمعيات التعليمية الحرة
التى تعنى بتعليم اليتامى ، وأبناء الفقراء :»

خلِّياهُ يتيهُ فى مهرجانهْ ... واعصماهُ من حادثاتِ زمانهْ
وارمُقاهُ بنظرةٍ من حنانٍ ... واجعلاه يَزْهو على أقرانه
عضّهُ الدهرُ وهْو طفلٌ صغيرٌ ... ومشى البؤسُ والأسى فى كِيانه
أبدًا من زمانه يتلوَّى ... مِن مَدى جَوْره ..ومن طغيانه
لم يَجِدْ ساعةً يحدِّثُ عنها ... غيرَ ساعاتِ بؤسِهِ وهوانه
يا له اللّٰهُ مِن يتيمٍ فقيرٍ ... عاش فى جهله .. وفى حرمانه !
كمْ مَصَابٍ أصابَه فى صباهُ ... وهْو يَسْمُو عن ذكرهِ بلسانه !

***

مَن لهذا اليتيمِ غيرُ رجالٍ ... أصبحوا فى الحياة مِن أعوانهْ ؟
ليس ينفكُّ كلُّ أروعَ منهم ... جائدًا بالعميمِ من إحسانه
أورِدُوه مناهِلَ العلمِ صِرفًا ... ودَعُوهُ يصول فى مَيْدانه
رُبَّ طفلٍ فى أمْسِه كانَ نِسْيًا ... وهو اليومَ حادثٌ فى زمانه !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٢

هيجـــة نفس *

إيه يا نفسُ . . سجِّلى أنَّ عُمرًا ليس بالهيِّن القليلِ . . تولَّى

دون أن تَسعِدَ النواظرُ فيه بفتًى يفهمُ الصـداقة نُبـلا

أَرْجِـعُ الطَّرْفَ للوراءِ مليًّـا أَنْشُدُ الأصدقاءَ خِلاًّ . . فخِـلاَّ

فإذا هُمْ أدنى إلى الغدرِ إتيـا نًا وأَمْضى إلى الخديعةِ نَصْلاَ !

* * *

يا وُجُوهَ النفاقِ قبَّحكِ اللـ ـهُ وأَضْـفَى عليكِ عارًا وذُلّاَ !

كلمـا قلتُ : إنّ فيكِ بريقاً مِن وفاءِ . أريتنى العكسَ سهلا!

أحيـــاةٌ تلك التى نحن فيها أم جحيمٌ تلقى بها النفسُ وَيْلا؟

أســـفِى أننى أقيم بدارٍ ساد فيهـا الرياءُ طفلا وكهلا !

لا تَخَلْنِى خُدِعْتَ بالناسِ ، لـكنْ هو قلبى يعيش فى الـكونِ طفلا!

* * *

أيها القلبُ . . كم تَمَنَّيْتَ عَيْشاً لا ترى فيه لابنِ آدمَ ظِلَّا !

لا شفاءَ لغُلَّةٍ . . يعـــلمُ اللـ ـهُ .. فما كنتَ للسخائمِ أهلا

---

* ميت غمر : عام ١٩٢٣ .

إنْ تـكنْ تَنْشُدُ الحياةَ خُلودًا ومَتاعا يُنسيكَ ما كان قبلا

فَهَبِ الـكونَ قِطْعةً مِن فلاةٍ وَهَبِ الناسَ فى نواحيه رُمْلَا

أيُّـا حاصِبٍ تَحَدَّاكَ يومًا فاعترضْ سيلَه ولا تخشَ عَذْلاَ

هكذا هكذا تعيشُ سـعيدًا بين قومٍ عدُّوا التجاهُلَ جهلا !

وإذا كانتِ النفوسُ لِئاماً فاتِّقاءُ اللئيمِ باللؤمِ . . أوْلَى !

على شاطئ النيل*

إجْرِ يا نيلُ حيثما شئتَ وانظرْ   كلَّ يومٍ ما لا تَراهُ بِأمْسِكْ

لستَ يا نيلُ مثلَنا فى صِراعٍ   يتحدَّى النفوسَ .. فاهنأْ بنفسِكْ

آه لو تلقى بعضَ ما نحن نلقى   لنَزَتْ فِكْرةُ الدَّمارِ برأسِكْ !

نادى المتعَبين*

جلس القومُ صُحْبَةً فى المساءِ

يتشاكَوْنَ ما بِهِمْ .. مِن عَياءِ !

جلسوا مُطْرِقين . فى غيرِ فِكْرٍ

يقتلون الفراغَ .. بالصَّهْباءِ !

وتَمَطَّى كبيرُهُمْ . فتمطَّى

لِتَمَطِّيه زُمْرَةُ الجُلَساءِ !

مُتْعَبٌ مُتْعَبٌ .. فهل مِن دَواءٍ

لِفَتًى مُتْعَبٍ .. بغيرِ عَناءِ ؟

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٣ .

* القاهرة : عام ١٩٥١ . النادى المشار إليه فى العنوان هو « كلوب محمد على » .

تأمــــلات*

قلتُ للروضِ وهْو يَحْلمُ فى الفجـ ـرِ : سَلَامًا . . يا مُلْهِمَ الشـعراءِ
قال لى الروضُ : مرحبًا بكَ أهلًا ها هو النورُ . . فاقْبِسُوا مِن ضيائى !

* * *

قلتُ للصبح والدُّجَى نافِرٌ منـ ـه ، وأضواؤه تَعُمُّ الوُجودا :
هأنا الآنَ قد عرَفْتُ لماذا قدّسَ الفنَّ وجهَك المعبودا !

* * *

قلتُ للطائرِ المرفرفِ فى الجوّ : أما آنَ أنْ يطيرَ ابنُ آدمْ ؟
قال لى : حينما يَعِفُّ عن الشرِّ ويَسْمُو عن الخَنَــا والمظالم !

* * *

قلتُ للقلب : كيف أعرضتَ عمنْ كنتَ بالأمس ترْسِلُ الشعرَ فيها ؟
قال : ماتتْ بخاطرى يوم زُفَّتْ وبوُدِّى لو أننى أَرْثِيها . . ؟

* * *

قلتُ للنفس : ما علىّ إذا ما أنا حَطَّمْتُ كلَّ هذى القيودِ ؟
قالت النفسُ : لا عليكَ . فحطِّمْ ذاك شأنُ الفتى القوىِّ الجليدِ !

* * *

* ميت غمر : عام ١٩٣٣ .

قلتُ للزورقِ السَّبُوحِ على المـا ء ومن فوقه الحسانُ : رويدكْ !
قال : دَعْنِى أسعدْ بهنَّ وأبْرِدْ غُلَّةَ الشَّوْقِ .. أسعدَ اللهُ جدَّكْ !

***

قلتُ للزرعِ إذ مَرَرْتُ به صُبـ ـحًا:ألا ما أخَفَّ ـيازرعُـظِلَّكْ !
قال لى : مُرَّ أيها الخادعُ النـا سَ ، ودَعْنِى . فلستُ أفهمُ قولَكْ!

صـــوت اليقظة*

أيها الحالمُ بالماضى .. أفِقْ أين أنت الآنَ من فَجْرِ الربيعِ ؟
كالتماعِ البرقِ ، كالنورِ ، انطلقْ ذلك الماضى إلى غيرِ رجوعِ !

* * *

نائمٌ أنتَ .. على صدرِ الصخورْ ولقد كنتَ على الزهرِ تنامْ !
هل سمعتَ الموجَ يطغَى ويثورْ أو رأيتَ الفُلكَ تمْضِى للأمامْ ؟

* * *

أيها اللحنُ الذى كم أبدعا ما لكَ اليومَ صموتاً ؟ ما لديكْ ؟
يا بشيرَ الخلدِ والنورِ معا قِفْ تأمَّلْ لهفةَ الكونِ عليكْ !

* * *

أنا وحدِى .. أعلمُ السرَّ الدفينْ أعلمُ الهمَّ الذى قد أسكَتَكْ
من جُمودِ الناسِ.. من هَزْلِ السنينْ تُمْسِكُ الشدوَ وتَطْوِى رحمتَكْ

* * *

يا شعاعاً وقفَ الدهرُ لهُ موقفَ الحاجبِ..فى كل طريقِ
سرْ على اسمِ اللهِ وانسَخْ ظلَّهُ ما ينال الدهرُ من روحٍ طليقِ ؟

* * *

---

* قنا عام : ١٩٣٦ .

لستَ كالناسِ . . فَناءٍ قائماً أنتَ فوق الناسِ والكَوْنِ جميعاً
أنتَ صَوْتُ اللهِ .. يَسْرِى حالِماً حيثما يَطْرُقْ . . يَجِدْ قلباً سميعاً

* * *

ذلك الجُرحُ الذى سالَ دمُهْ منك بالأمسِ . . ولمَّا يَنْدَمِلْ
قد مضَى من أمْرِه ما تعلَمُهْ وغداً ، مهما تمادَى ، يَرْتَحِلْ !

* * *

أيها الغافلُ .. ما أحلَى الحياةْ بين نهرٍ ، وجبالٍ ونخيلْ !
وقطيعٍ ، وكلابٍ ، ورُعاةْ وشواديفَ اطمأنتْ فى الحقولْ !

* * *

ذاك . . أم دُنْياً بها الشرُّ يُقيمْ وبها الأوهامُ قيدٌ للأنامْ ؟
ذاك . . أم عيشٌ على الحرِّ جحيمْ وعلى الأصنامِ بَرْدٌ وسَلامْ ؟

* * *

أيها الحالِمُ . . إنْ عادَ الربيعْ فابعثِ الناىَ صَدُوحاً فى الشِّعابْ
رُبَّما هدَّأ ما بين الضلوعْ وأراحَ العينَ مِن هذا الضَّبابْ !

وحى بج بن *

أيهــذا الصوتُ الفصيحُ المؤذِّنْ ... بجميع اللغاتِ من قلبِ لنــدنْ

أنتَ ماذا؟ أأنت في الكونِ صوتُ الزْ ... زَمنِ السَّرْمَدِيِّ أمْ صوتُ بِجْ بِنْ؟

مَن تُرى ذلك المقــنَّعُ منظو ... رًا ، ومَن فى صَميم ذاتكَ يكمُنْ ؟

إنه الوقتُ يستحثُّ بنيــــه ... لسـبيل العُلى بوقْعٍ مُلَحَّنْ !

* * *

يا ابنةَ الوقتِ .. ما يُعِدُّ أبوكِ ... لبنى الأرضِ من مصير ويُبْطِنْ ؟

أسلامًا يزورُهُمْ بعـــدَ يأسٍ ... أمْ حُرُوبًا تدُكُّ صَرْحَ التمدُّنْ ؟

أشِــفاءٌ على يديهِ لـِكونٍ ... بالمآسى .. وبالجراحات مُثْخَنْ ؟

كلَّ يوم يُمرُّ . هولٌ جــديدٌ ... ووعيدٌ بما يَسُــوءُ ويُحزِنْ

كلَّ يومٍ .. تكهُّناتٍ بشَرٍّ ... أصحيحًا يكون هذا التكهنْ ؟

يا ابنةَ الوقتِ .. حدِّثى وأجيبى ... فإذا منـك لا جوابَ .. فمِمَّنْ ؟

* * *

إيهِ عـدادةَ السنينِ علينـا ... مُقْبلاتٍ بفرحٍ .. أو بحزنْ !

---

* ساعة بج بن : أكبر ساعة فى العالم . أقيمت منذ قرن على مبنى البرلمان الانجليزى . بمدينة لندن .. نظمت فى ٢٨ مايو عام ١٩٤٩ ، وقد أوحت دقاتها الشاعر بهذه القصيدة .

هـل سـبيلٌ بين الورَى لوفاقٍ ... كم سمعنا بأنه غـيرُ ممكنْ ؟

فرّقتهمْ أجناسُهـم ولُغـاهم ... واستطابوا الخلافَ. حتى تمكنْ !

واشترَوْا بالإخاء . حِقداً بليغاً ... فانبرى بعضُهم على البعض يَطْعَنْ !

مالهم ، سـدّدَ الإلٰهُ خُطاهمْ ، ... لو تـكون الدنيا لنا خيْرَ مَسكنْ ؟

فأعادُوا السـلامَ للأرض يُمنـاً ... بعد أن جدَّ فى الرحيل وأمعنْ ؟

إن يطُلْ خوفُنا وما نحن فيـه ... فلَعَمْرِى للموتُ ـ واللهِ ـ أهونْ !

السعادة الضائعة*

حينما فى الصِّبا فتحتِ لىَ البا ... بَ وقلتِ : انطلقْ بنىَّ .. انطلقْتُ

انطلقْ ! فَهْىَ فى الطريق .. ستلقا ... ها وتَحْظَى بوَجْهِها .. فاندَفَعتُ

مُوغِلاً فى الشعاب .. فى كل أرضٍ ... أتحرَّى الوجوهَ .. حتى سئمتُ !

ثم طال السُّرى ، وأجهدنى السيرُ ... ولما سُئِلْتُ عنها .. أَجَبْتُ :

لم أجدُها فى رحلةِ العمرِ .. لكنْ ... قد وجدْتُ الشقاءَ .. فيما وجدْتُ !

* * *

أمُّ .. يا أمُّ .. هل خَدَعْتِ فتاكِ ؟ ... لا تقولى : نعم .. وإلَّا رَجَعْتُ

وهَبِينى رَجَعتُ .. مَن يفْتَحُ البا ... بَ إذا عُدْتُ يائساً وطَرَقْتُ ؟

---

* لندن : مايو عام ١٩٥٣ .

على لسان مريض*

حفظ اللهُ لكَ الصِّحَّةَ . . فالصحةُ كنزُ

وهي ، لو تدري ، عَزاءٌ لكَ في الدنيا . . وعزُّ

الْخُطى عندكَ ، إذ تَقْصِرُها ، وثبٌ وقَفْزُ !

والخُطى عندي ، إذا أوسِعُها ، ضعفٌ . وعجزُ !

* * *

الرُؤى العذبةُ . والراحةُ والنومُ الهنيءُ !

والمسراتُ . . بها ليلُك يزهُو ويُضيءُ !

وأنا ليليَ بالأوجاعِ . . يمضي ويجيءُ !

وأنيسيَ في دُجاهُ . . اليأسُ والموتُ البطيءُ !

* * *

أنتَ والصحةُ إلْفانِ . . فعِشْ واهْنأْ مُعافَى

واخْتَطِفْ في ظِلها البهجةَ والأُنْسَ اختطافا

قبلما يُدْرِكُكَ الليلُ . . الذي يَغْشى الضِّعافا

ثم تَصْحُو . . ثم لا تَلقى مِن الناسِ . . انعطافا !

---

* على القطار من محطة ووترلو الى محطة سربتون بمقاطعة سارى فى انجلترا : شتاء عام ١٩٥٣

أمس واليـــوم*

أَسْلَمَتْنِي زِمامَهـــا أَيّامِي

ومَشَتْ تَنشُرُ الرجاءَ أَمامى

فإذاالكونُ..مَوْكِبٌ مِن سلامِ!

وسماءٍ تَفيضُ بالإلهـــامِ !

ونَسيمٍ مُوَقَّعٌ الأنغـــامِ !

وليـــالٍ وَرْدِيّةِ الأحلامِ !

ونُعاسٍ مُخَـــدِّرٍ للأنامِ !

* * *

هكذا كنتُ.. فى ربيع الحياةِ !

كان كَوْنِي يُضِيءُ بالبَسماتِ !

وتُندِّى رِحابَهُ أُغْنِيَـــاتى !

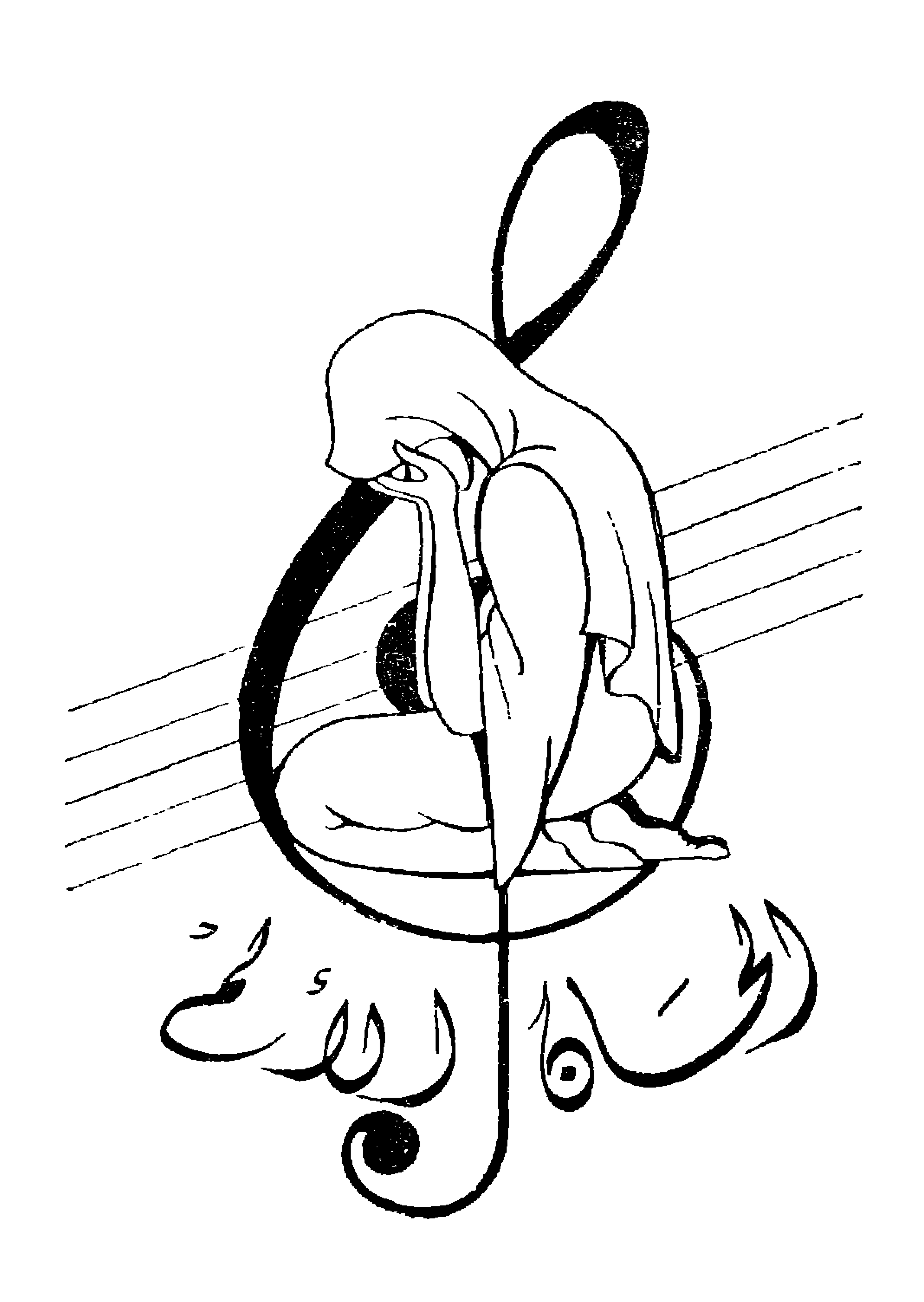
وأنا فيـــهِ مشرقُ الخطرَاتِ !

ثم غابَ الشبابُ.. فى الظُّلُماتِ !

فإذَا بِى.. تغـــيَّرتْ نَظرَاتِى!

وإذَا بى أعيشُ.. بالذكريَات !

* القاهرة : عام ١٩٥٩ .


ألحان الألم



وقفـــة فى حياة*

لیس فی الـكونِ فؤادٌ يَستجيبْ لفؤادِ الشاعرِ المغـــتربِ
غلبَ الطيشُ على تلك القلوبْ وسَرَى فيها سِمـامُ الـكذبِ !
وفؤادى عادَ كالقفرِ الجـديبْ بعد ما كان كرَوْضٍ مُعْشِبِ
تَبْسِم الأزهارُ فيـــه والورودْ !

* * *

أرْجِـعُ النفسَ إلى الماضى السحيقْ رُبَّ ماضٍ تَسْـكُن النفسُ إليهْ
ويلتا ! ما ذلك الصمتُ العميقْ ؟ إى ! وما الهولُ الذى فى جانبيهْ ؟
ذلك الماضى ؟ فيا حزنى الطليقْ هاتِ ما عندك . . لا تبخلْ عليهْ
واشتعلْ فى القلب. إنْ كان يُفيدْ !

* * *

أين أيامُ شَـــبابى المشرقاتُ ؟ قد تَوَلَّتْ ! فوداعاً يا شبابى !
أين لَيْـلاتُ صِحابى المبصراتُ ؟ قد تولَّتْ ! فوداعا يا صحابى !
أين ؟ هل أبقتْ على أين الحياةُ ؟ عبثاً نسألُ من غيرِ جوابِ
والذى قد فاتَ . . هيهاتَ يعودْ !

* * *

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٢ .

وَرَبِيعُ العُمْرِ . ولَّى عَجِـلَا ما اجتنينا فيـه إلَّا الندَما
هو ضيفٌ حلَّ ثم ارتحلَا ليتهُ ظلَّ نزيلاً مُكرَما !
ونذيرُ الشيبِ . . لما أقبلَا طيّرَ الأمنَ وهاجَ الألما !
ما لقلبي اليومَ . في ذُعْرٍ شديدْ ؟

* * *

أنا مَن ضَلَّ بصحراءِ الحياةْ فهْو فيها كالشعاعِ الحائرِ !
يغمرُ البِيدَ بفيضٍ مِن سَناه ثم لا يَحْظَى بِطَرْفٍ شاكرِ !
أشخوصٌ ؟ أم صخورٌ ؟ ما عساه يتراءى لخيالِ الشاعرِ
ذلك الناطقُ في هذا الوجودْ ؟

* * *

أنا مَن قد عاشَ في دنيا الخيالْ وهْي دنيا لا يَراها البَشرُ !
يَسْطَعُ النورُ عليها والجمالْ ويُوَشِّي جانبيْها الزَّهَرُ !
ليس فيها من خِصامٍ أو جدالْ لا . . ولا تَسْكُنُ فيها الغِيَرُ !
بعضُ ما فيها . . نعيمٌ وخُلودْ !

* * *

كم دعوتُ الناسَ . . للخلدِ المقيمْ وهمُ في غيِّهمْ . . لا يسمعونْ !
أوغَلُوا في الذلِّ . . والذلُّ أليمْ وإذا صِحْتُ بهم . يستهزئونْ !

لا يبالون بلومٍ مِن مُليمْ وكأنَّ العقلَ فى الدنيا جُنونْ

رحمةَ اللهِ . . لأنصافِ العبيدْ !

***

قاربَ الشوطُ على أن ينْتَصِفْ فى طريقٍ . . لم أجدْ فيه أنيسا

أبداً أمشى . . ولكنْ أرتجفْ من مصيرٍ غالَ من قبلُ النفوسا

أىْفؤادى . . أنت يا رمزَ الشرفْ هو ذا الرامسُ يختطُّ الرُّموسا

وغدًا يا صاحِ . . تحْويكَ اللحودْ !

***

أنا مَن قد وَدَّ فى الشعرِ البقاء فهْو حُبِّى . . وهْو مجدى المستطيلْ

لا تخَلْهُ من جنونِ الشعراء فوسيعُ المُلكِ فى معنًى قليلْ !

أفمَنْ يَسْكَرُ من خَمْرِ الدماء مثلُ مَن يَسْكَرُ بالمعنى النبيل ؟

خلِّنى والشعرَ . . وانعَمْ بالقيودْ !

***

صاحبٌ لا يعرفُ الغدرَ . . ولَا يُرهقِ النفسَ بلومٍ أو عتابِ

كلما مرَّتْ لىَ الدنيا . . حَلاَ ومضى يَمْسَحُ آثارَ المصابِ

لستُ ألْحاهُ على الدهر . . ألَا مَن يبيعُ الخلدَ بالقفرِ اليبابِ ؟

يا نعيمَ الخلدِ . . وُقِّيتَ الحَسُودْ !

***

قال لى الشعرُ بصوت لا يَبِينْ : كم ؟ إلى كم أنتَ تَبْكِى خائفاً ؟
غَنِّ يا صاحِ .. ودَعْ عنك الأنينْ وانطلقْ بين الروابى هاتفا
وأرِحْ نفسكَ .. من عبءِ الشجونْ هل ترى إلى نظامًا زائفا
يَسْبِقُ العاطلُ فيه .. والبليدْ ؟

* * *

وهفا الشاعرُ . . كالطيرِ بهيجَا لا يُبالِى بعظيمٍ أو حقيرِ !
يملأُ الدنيا صِياحاً وضجيجَا أرأيتَ الطيرَ .. فى وقتِ البكورِ ؟
وإذا ماالنفسُ .. ودّتْ أن تهيجا من نفوس تَرْتضِى عيشَ الأجيرِ
هدَّأ النفسَ . . بأنغامِ القصيدْ !

ما الحيــــاة ؟

خَلِّيانِى أهيمُ بين الجنانِ ودَعانى مِن بارقاتِ الأمانى
واحجُبا ضجــةَ الحياةِ .. لعلِّى أوهِمُ النفسَ بالرضى والأمانِ
وعـــــزيزٌ أنى أقمتُ طويلاً أتغنى بأعــــذبِ الألحانِ
ثم أُجْفَى من الأنامِ .. كعودٍ سئِمتْ لمْسَهُ أكفُّ القِيانِ
ومُحَالٌ أن أستجيبَ لعيشٍ ذُقْتُ فيه الهوانَ تِلْوَ الهَوانِ
لا .. ولن أصحبَ الزمانَ كأمسِى ذاك شأنُ المستضعَفِ المِذعانِ !

* * *

يا أخا الشعرِ لا أخا الناسِ .. إنى ضقتُ ذرعًا بحادثاتِ الزمانِ
نزلتْ ساحىَ الصروفُ التَّوالى وعرانى المشيبُ قبل الأوانِ
وتولَّى الشبابُ لم أجنِ فيـــه غيرَ شـــوكِ القتادِ والحرمانِ
ذاك عمرٌ — يالهفتا — ذاك عمرٌ ضاع منى بأبخسِ الأثمانِ !
ليتنى قد عَصَيْتُ نفسِى فأغوَيْـ ـتُ جميـعَ الأنامِ كالشيطانِ !

* * *

لا تظنوا بىَ الظنونَ .. فأنتم مصدرُ الشرِّ يا بنى الإنسانِ !*

---

* القرية : عام ١٩٣٢ .

أو تغاروا على الفضائلِ حتى لا تُثيروا مواضعَ الأشجانِ
ما انتفاعى بها .. وقد صيَّرَتنى دون غيرى فى كل وقت وشانِ ؟

* * *

أيها القلبُ .. كم تئنُّ وتشكو من حياةٍ كثيرةِ الأدرانِ ؟
أنتَ تهوَى إصلاحَها .. وهْى تأباهُ ، وتُنحِى عليك بالخذلانِ
وتُواتيك كلَّ يوم بهمٍّ يُسْلِمُ النفسَ للأسى والحِرانِ
هىَ ليستْ حمًى لكل كريمٍ هى خُلدٌ لكل فَدْمٍ جَبانِ
تتلقاهُ بالطلاقة والبِشْرِ ، وتُضْفِى عليه ثوبَ الحنانِ
والشجاعُ الأبىُّ فيها غبينٌ مستباحٌ حماهُ فى كل آنِ
أيهذا الجبانُ .. يَهنيك عيشٌ فى نعيمٍ وراحةٍ وأمانِ
لو أردنا العيشَ الوطىءَ .. لكنا قد أصبناهُ من قديم الزمانِ !
غير أنا ، ولا نماريك ، قومٌ نُرْخِصُ العيشَ غارقاً فى الدِّهانِ !

* * *

أيها القلبُ .. هل أراكَ مُطيعى ومُريحى من صوتك المِرنانِ ؟
لا تظنَّ الحياة .. جاهاً عريضاً ومُروقا عن شِرعة الرحمنِ
وازدلافاً لكل وَغْدٍ زَنيم أو ثناءً على الأثيم الجانى
الحياةُ الخلودُ يا قلبُ .. فاقنعْ وتجلَّدْ .. فكلُّ ما عزَّ فانِ !

السعي الضائع *

يا ليتَ لي يا دهرُ من غايةٍ   أسْعَى إليها فيكَ مُسْتَبْسِلَا !
تَخْطُو بيَ الأيامُ في قَفْرَةٍ   جدباءَ . . لا ألقى بها مَنْزِلَا !

ابْلَعِي *

ابْلَعِي يا أرضُ مِن فوقك مَن لا   خيرَ فيه لحياةٍ وخلودْ !
إنّ في الموتِ شفاءً لنفوسٍ   قد تناستْ كلَّ معنًى للوجودْ !

مكتئب ! *

خَلِّ هذا القلبَ يُحْرَقْ باللهبْ   إنّ هذا القلبَ . . أضناهُ التعبْ !
كلما خفَّ لصفوٍ شاملٍ   غَلَبَ الهمُّ عليهِ . . فاكتأبْ ! !

---

* القرية : عام ١٩٣٢ .
* القرية : عام ١٩٣٢ .
* القرية : عام ١٩٣٢ .

بعـــد المعركة*

رَفْرَفَ القلبُ فى الضلوعِ بهمسٍ حين طافتْ به مصارعُ أُنْسِي

أيها القلبُ . . أيقظِ النفسَ أيقظْ وأعِدْ ما نسِيتُ . . فالهمُّ يُنسِى!

واسْتَرِحْ . . فالحياةُ أهونُ شأناً مِن جهادٍ يَهْدِي إلى شرِّ يأسٍ !

قدَّر اللهُ أن تعيشَ غريباً بين قومٍ صُمٍّ المسامعِ خُرْسٍ !

كم ليالٍ مرَّتْ عليك بِطاءٍ كنتَ فيها كَمَنْ أُصيبَ بمَسٍّ !

ترقبُ النجمَ . . حينَ يطلعُ شرقاً ثم تَرعاه . . حين يَهْوِى لرمسٍ

و « الحنانُ » الذى سَهِرْتَ عليه سَهَرَ الجازعِ القليلِ التـأسى

صيَّرَتْهُ الأسقامُ هيـكلَ عظمٍ ونَضتْ فوقهُ غُـلالةَ وَرْسٍ

ثم طافتْ به المنونُ بيومٍ ظاهرِ الغدرِ أشأمِ الوجهِ نحسٍ !

أكثيرٌ على الحيــاة طبيبٌ كان يَشْفِيك من شقاءٍ وبُؤْسٍ ؟

أبداً . . لا تَمُرُّ ذكراهُ حتى تُضْرِمُ النارَ . . كالجحيمِ بنفسى !

* * *

أيها الرائدُ الذى ليس ينفكُّ يقودُ الأنامَ من كلِّ جنسٍ !

أنتَ جشَّمْتنا الصعابَ طويلاً وأثرتَ الشكوكَ فى كلِّ رأس !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٣ .

قفْ بنا ساعةً . فنطرحَ عبئاً ونُريحَ الأقدامَ مِن طول عَسٍّ
إنَّ فى السيرِ فوقَ جَمْرِ الفيافى أثراً يُرْمِضُ العيونَ ويُخْسِى
والرياحُ التى تُثيـر سحاباً من عذابٍ تَشْوى الوجوهَ بلمسِ
طال فى السير يومُنا . فإلاما نَصْحَبُ السيرَ فى مفاوزَ شُمْسِ ؟
أيها الركبُ . . صرخةً فعساها تُسمعُ الرائدَ الكريمَ فيُرسِى
صرخةً تترك الشوامخَ هدًّا وتُميـدُ القوىَّ من كلِّ أُسِّ
فالذى كَرَّهَ المطافَ إلينـا أننا لا نَرى به وجهَ إنْسِى !

* * *

أنا مالى . . عَشيتُ عن كلِّ حُسْنٍ وسئِمْتُ الحياةَ مِن كلِّ نَفْسِى ؟
عِشْتُ فيها . . وما أَسَأْتُ إليها وهْىَ مجنونةٌ بغبنى وتَعْسِى !
طالما قلتُ : فى غَدٍ تُشرقُ الشمسُ . . فيأتى غدٌ كيومى وأمْسِى !
غَرَسَ الغارسون قبلى وبَعدى فزكا غرسُهم . . ولم يَنْمُ غَرْسِى !
والأمانِى التى صَبَوْتُ إليها صيَّرتْها يدُ الزمانِ لِعكْسِ !
فأمانِى الهوى . . استحالتْ جحيماً وأمانِى الشبابِ . أوْدَتْ بحِسِّى !
والأمانِى التى بنفسىَ عادَتْ شرَّ داءٍ بين الجوانحِ حَبْسِ !

* * *

أيهـا اللائى . . حنانَكَ إنى ذُقْتُ مالم يَدُرْ بظنِّى وحَدْسِى !

قد سقتني الأيامُ .. حتى ترنحْـ ـتُ ولـكنْ بغيرِ خَمْرٍ وكأسٍ !

ففؤادى على المـآسى مُقيمٌ وخيالى مما به غـيرُ مُرسٍ

فأعِنِّى ، وواسِنِى بقليـل من عزاءٍ ، شأنَ الطبيبِ المؤسِّى

فقليلُ العـزاءِ أقطعُ للدا ءِ ، وطولُ الملامِ يَرْمِي لنُـكسِ

واستثِرْنى إلى الجمالِ .. وصوِّرْ لىَ هذى الحياةَ فردوسَ أُنسِ

فالشعورُ الذى بنفسِىَ أنى أعنى .لو تغربُ الآن شمسى !

مـــتى ؟*

متى يهدأُ القلبُ الذى حارَ صاحبُهْ

وضاعت به آمالُه ومطالبُهْ ؟

متى يفرحُ القلبُ الذى طال همُّهُ

وناوَشهُ مِن أسهمِ الدهرِ . . صائبُهْ ؟

مقيمٌ بصحراءِ الحياةِ . . على الوجَى

فلا صاحبٌ يهفو له . . أو يكاتبُهْ !

---

* القرية : عام ۱۹۳۳ .

الشــاعر الصــــامت*

فى ظِلاَلِ النخــلاتِ والورودِ الحــــالماتِ
جلس الشاعرُ حـيرا نَ كثيرَ الحُرُقاتِ
صامتاً فى نفســهِ قد عافَ طَعْمَ الـكلماتِ
تُزْبِدُ الدنيا .. وتُرْغِى وهْوَ فى نَوْمٍ سُباتِ !
لا يبالى بعــــد ما عا نَى شــديدَ الضرَباتِ
نامَتِ الدنيا .. أم ِاهتزَّ تْ بشَتَّى الحــادثاتِ !
دَعْهُ فى صَمْتٍ كصمتِ المو تِ . جَهْمِ الظَّلَماتِ!
ما غَناءُ القولِ والشعـ رِ ، لدَى قومٍ قُسَاةِ ؟ !

* * *

يا نديمَ الشــعرِ .. رفقاً بالقــلوبِ الداميــاتِ
لا تَهِجْنِى .. بَعْـدَ يأسِى للأغانى الخــــالداتِ
طالما غنَّيتُ .. لــكنْ لم تَرُقْهمْ أغنياتى !

* * *

يا قليــــلَ البسماتِ وكثيرَ الغَمَـــــراتِ

---

* القرية : عام ١٩٣٣ .

نُحْ على نفسك واندُبْ حظَّها حتى المماتِ

عشتَ في الدنيا .. كعيش الطيرِ في جوف الفلاةِ

حائراً في الكون لا تد ري .. متى يومُ النجاةِ ؟

أنت، لو يدرون ، رُوحٌ أنعشَتْ رَوْضَ الحياةِ

أنت، لو يدرون، ذكرى من أرقِّ الذكرياتِ

ويحَ هذا الكونِ لم يحـ ـفلْ بآياتِ الهُداةِ !

رُبَّ يومٍ قد سكبنا فيه دمعَ الحسراتِ !

يوم ضلَّتْ في فيافي الـ ـكونِ أقوى صرخاتي

وتلاشَتْ في مَهبِّ الر يحِ .. أندَى نغماتي !

* * *

يا نديمَ الشعرِ .. رفقاً بالقلوبِ الدَّامياتِ

لا تَهِجْني .. بعْدَ يأسِي للأغاني الخالداتِ

طالما غنيتُ .. لكنْ لم ترُقْهُمْ أغنياتي !

* * *

وحبيبٍ مثلِ زَهْرِ الر وضِ .. ساجي النظراتِ

يبعث الحبَّ إلى القلـ ـبِ على ضوءِ الأناةِ

لا يُطيقُ الحبَّ لفظاً شائعاً في الكلماتِ

ويَوَدُّ الحبَّ مَغْــنًى هــــافياً كالنسماتِ !
تَغْمُرَ النفسَ بفيضٍ مِن سَرِىِّ النشَـوَاتِ
وهْىَ رُوحٌ تعمرُ الدنـــــيا . بطِيبِ النفـحاتِ

* * *

كلما صَـوَّرْتُ حُـبِّى فى رقيـقِ الخطـراتِ
أو تغـــنَّيْتُ بأيا مِ الصـفاءِ الذاهباتِ
أو تشوَّقتُ إلى عهـ ـدِ الأمانى المشرقاتِ
أنــكَرَ العيشَ . . وحبًّا فوقَ ذَرْعِ الـكائناتِ
ومضَى فى وجهِهِ غضـ ـبانَ جمَّ الزفراتِ
يَنْفُضُ الـكفين من حُـ ـبى . وإذْ طالتْ شكاتى
وكأنا لم نـكنْ يو مًا . نجيَّىْ خَــلَواتِ !

* * *

يا نديمَ الشعرِ . . رِفقاً بالقـــلوبِ الدامياتِ
لا تَهِجْنِى . . بعد يأسِى الأغانى الخـــالداتِ
طالما غنيتُ . . لـكنْ لم ترُقْهُمْ أغنيــــاتى !

* * *

مرحبًا بالصمتِ . . يُحيِي ما وهَى مِن عزماتى !

مرحباً بالصمتِ.. أُخْفِي فيه سِرَّ النكباتِ !

مرحباً بالصمتِ.. يَفْنَى فيه طَيْشُ الطائشاتِ !

مرحباً بالصمتِ.. رمزاً للمعانى الحــائراتِ

أسـكتوا البلبلَ لمَّا صاحَ فوق الربَواتِ

بالمعــانى الساميات والأغانى الشاجياتِ

ما لهم .. قد حَــرَمُوه مِن رخيمِ الصَّدَحاتِ ؟

فى ظـلالِ الشجراتِ وعبــيرِ الزهَراتِ ؟

ليتهم قد علَّمُوه الصـمتَ..مِن قبلِ الفَواتِ !

***

ويحهمْ .. لم يَفهموا نفـسى ودنيا رغَباتى !

يحسَبون البعثَ موتاً ماثِلاً فى كلمــاتى

وإذا ما رُحْتُ أهْفُو كالطيورِ الشــارداتِ

أو أَثَرْتُ اللحنَ من قِيـثارتى بالمُطــرباتِ

جانبوا الصدقَ وصاحوا: تلك أفعالُ الغُوَاةِ !

***

قد تخِذْتُ الصمتَ زادى وشِعارى .. فى الحيــاةِ

إنَّ فى الصمتِ.. عزاءً عن حيــاةٍ لا تُواتى

فاحترمْ صَمْتِي . . ودَعْنِي أشْــتَفِي بالمهلـكاتِ !

آهِ مِنْ صمتى وآهٍ من جُدودِي العاثراتِ !

* * *

يا نديمَ الشعرِ . . رفقاً بالقــلوبِ الدامياتِ

لا تَهجْنى . . بعد يأسِى للأغانى الخــالداتِ

طالما غنيتُ . . لـكن لم تَرُقْهُمْ أغنيـاتى !

الصــــمت*

أيها الصمتُ . . أيها الصاحبُ العا قلُ دَعْنِي . . أعِشْ بدنياكَ دَعْنِي !

ألجأتْنِي إليكَ . . أحداثُ دنيا أسلمتْنى إلى شـــقاءٍ وغَبْنِ !

قد سئمتُ الكلامَ فى فارغِ العيـ ـشِ . . وفى كلِّ مأْمَلٍ ليس يُغْنى

ما غناءُ الكلامِ ؟ رُبَّ كلامٍ زادَ فى لوعتى . . وأطلق حُزنى !

* * *

أيها الصمتُ . . أيها الصاحبُ الوا دِعُ . . دَعْنِي أنمْ بظلِّكَ دَعْنى !

الصحارَى . . التى أطوِّفُ فيهـــا لم أجِـدْ فى فِجاجها أىَّ أَمْنِ

أيها الصمتُ . . خلِّ هذا المعَنَّى يتلهَّى بروضـــك المُرْجَحِنِّ

ما أحبَّ المقامَ فى ظلِّكَ الوا رفِ . . بين المُنَى وبين التمنى !

* * *

أيها الصمتُ . . أيها الصاحبُ الحا نى . . أَنِلْنى بعضَ العزاءِ أَنِلْنى !

طرقَ الشكُّ ساحتِي . . مستبدًا من أناسٍ قد أخلفُوا اليوم ظنى

طرقَ الشَّكُّ ساحتى ! يا لَضيفٍ تركَ القلب فى وساوسَ تُضنى

فاحمِنِي من قساوةِ الشكِ . . علِّى أجِــدُ الآن . . ما يُرفِّه عنِّى !

فى سبيل الضلالِ . . ما ضاع مِنِّى من جِهادى . . ومِنْ شَبابى وسِنِّى !!

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

قلق*

يا ليت شِعْرِى .. ماذا   أَبقَتْ يَدُ الحدَثانِ ؟

مِن صحتى وشَبابى   وذكرياتى الحسانِ ؟

حيرانُ . فى كلِّ دارٍ   حيرانُ .. فى كلِّ آنِ !

أشتاقُ كلَّ جَديدٍ   أقلاهُ بعدَ ثوانِ !

أين القرارُ لنفسٍ   كثيرةِ الجَوَلانِ ؟

الصبرُ ؟ هيهات ! مالى   بالصبرِ بَعدُ يدانِ !

فلْيهدإِ القلبُ .. أو فَلْـ   ـيَجْنَحْ إلى الثَّوَران

إنَّ الأمانىَّ .. ماتَتْ   ماتتْ بغيرِ أَوَانِ !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

غرفـــة الأحزان!*

« جلس الأطفال السبعة الأيتام ليلة العيد حول أمهم في غرفتهم العابسة يسألونهـا متى عودة أبيهم ! فإليهم أهدى هذه القصيدة » .

مَالَت الشمسُ فى طريقِ الغروبِ ومشَى النورُ خلفَها للمغيبِ !

ما لها الشمسُ آذنتْ برحيـلٍ واجْتَوتْ مسرحَ الوجودِ العجيبِ؟

صُفرَةُ الموتِ . . أطفأتْ وجنتيها وكستْ وجهَها . . رداءَ الشحوبِ!

جاشَ قلبُ الوجودِ شَوْقًا إليها وهْوَ فى شَوْقِهِ كثيرُ الوجيبِ

يا لَها ســـاعةً . . تجشَّم فيها من ضروبِ الأهوالِ..أىَّ ضُروبِ!

أيُّهـذا الوجودُ . . دَعْها رَوَيدًا تَستَرِحْ ، فالطريقُ جَمُّ اللغوبِ !

* * *

لم تَـكَدْ تختفِى عن الأفْقِ حتى جلَّلَ الـكونُ وجهَهُ بسوادِ !

وكَسَا نفسَـهُ ظلامًا عليهـــا لـكأنى به ثيابُ الحـــدادِ !

وهفا الطـيرُ نائحًا . . أتُراهُ يُعلِنُ النَّعْىَ فى وسيعِ البلادِ ؟

وسَرَى الأَيْنُ والملالُ إلى الـكو نِ . . فأغفَى مُستسلمـًا للرُّقادِ

وضجيجُ الحيـــاةِ حاربَهُ الصمـ تُ . . فولّى مِن بعدِ طُولِ جهادِ!

---

* القرية : عام ١٩٣٤ .

هكذا نامتِ الحيـاةُ .. وغنّاَ غـيرَ قومٍ أنينهُم فى ازديادِ !

* * *

ليلةُ العيدِ هـذهِ ؟ إى وربِّى وهىَ هـذى علائمُ الأفراحِ !
أرأيْتَ الأطفالَ فى الحللِ الحمـ ـرِ خِفافاً يجرون بين النواحى ؟
يقطعونَ الدُّروبَ ركضاً ووثبًا ويُثيرون جوَّها بالصِّـياحِ !
لا تَقُلْ : ويْحَهُم فقد أزعجونى مِن لَذيذِ الكرى بِسَيْلِ المِراحِ
بهجةُ الأرضِ هُمْ .. فلا تعترضْهمْ ما عليهم فى لهْوِهم مِن جُناحِ
خلعَ البشرُ فوقهم ثوبَ حُسْنٍ غيرَ قومٍ .. تزمَّلُوا بالجِراحِ !

* * *

ومشَى البِشْرُ فى المنازلِ جمعـا ءَ .. فضاءَتْ سماؤهـا بالسرورِ
غيرَ كوخٍ مشَتْ به وحشةُ اليُتْـ ـمِ .. فأمسَى وما بهِ مِن سميرِ
يبعثُ الرعبَ فى القلوبِ ويُذكى فى حنايا الضلوعِ نارَ السـعيرِ !
تضربُ الريحُ وجهَهُ .. وهو ساهٍ لا يُبالى بـكلِّ خَطْبٍ مُغيرِ !
شغَلتْه الأحداثُ عن عبَثِ الر يحِ .. وعن كلِّ زائرٍ ومَزورِ
أفرَدَ الدهرُ فيـهِ أرملةً أمـ ـسَتْ وأطفالَها بقلبٍ كسيرِ

* * *

وأقامُوا بغرفةٍ ليس فيهـا مَنفذٌ للهـواءِ .. أو للرجاءِ

هيَ قبرٌ .. لكنَّ في القبرِ صمتاً — وانسلاخاً من كل داءٍ عَياء !

سبعةٌ . خيَّمَ الشقاءُ عليهم — فتراهُمْ مما بهمْ في انزواء !

وجثَوْا حولَ أُمِّهم .. وهي تُخفي — عَنْهُمُ دمْعَها بِطرْفِ الرِّداء !

كلَّما ضجَّ بالبشائرِ .. طفلٌ — خارجَ الكوخِ أجْهَشُوا بالبكاء !

ثم صاحُوا بأمِّهم : أطلقِينا — بعضَ وقْتٍ في زُمْرَةِ السعداء !

***

يا لها صيحةً .. تمزَّقَ منها — قلْبُ أمٍّ لم تستطعْ أن تُجيبا !

كُتبَ اليتْمُ والشقاءُ عليهم — واشترَوْا بالنعيم .. بؤساً كئيبا !

عجباً للحياةِ .. تقسُو عليهم — وسواهم يَقْضِي الحياةَ طروبا !

أكثيرٌ أن يَنعموا في صِباهم — بحنانٍ يُضيءُ تلكَ القلوبا ؟

أكثيرٌ أن يلمَسُوا بعضَ عطفٍ — أو يُصيبوا من النعيم نصيبا ؟

شهدَ اللهُ .. لا يَبينُون إلَّا — أوشكَ القلبُ منهمُ أنْ يذوبا !

***

قال طفلٌ يبدُو الذكاءُ عليه : — أين يا أمُّ والدي ؟ أين ؟ قُولي !

أهْوَ في السوقِ ما يزالُ إلى اليو — مِ .. كما قلتِ لي غداةَ الرحيلِ ؟

علَّهُ أخطأَ الطريقَ إلى السو — قِ .. فما السوقُ هكذا بالطويلِ !

ناشديهِ بأنْ يعودَ .. فإنا — قد نسِينا حلاوةَ التقبيلِ

أمُّ ! يا أُمُّ ! ما جرَى ؟ إنّ عَيْنِي تُنكر الوجهَ ساهماً .. فابْسِمِي لى !

وعلامَ العويلُ يلذَعُ فى القلـ ـبِ .. ولسْنَا فى حاجةٍ للعويلِ ؟

* * *

عَطفَتْ وجْهَها .. لتحجُبَ عنهم منظَراً يَصْدَعُ القلوبَ الصغيرةْ !

فانبرَتْ طفلةٌ تجيبُ أخاها : إنه ماتَ .. وانطوى فى حفيرةْ !

أهْو قد مات ؟ كيف مات ؟ فإنى أجهلُ الموتَ : أصلَه ومصيرَه

هو ضيفٌ .. إنْ حَلَّ يبتعثُ الرعـ ـبَ ويَسْقِي مَن شاء كأساً مريرةْ

هو مَنْ طاحَ بالأبِ البرِّ عَجْلَا نَ .. ولم يُصْغِ للدموع الغزيرةْ

لا تُصَدِّقْ مقالةَ السوقِ .. ليستْ قصَّةُ السوقِ غيرَ سَلْوَى قصيرةْ !

* * *

قد عرفتُ الموتَ المروِّعَ .. لكنْ حدِّثيني متى يَعُودُ إلينـا ؟

واصْدُقِيني .. ألَا يعودُ قريباً ذلكَ الوالدُ العزيزُ علينـا ؟

ليلةُ العيدِ أقبلتْ .. وهْوَ لم يأ تِ فيَشْفِي بِعَوْدِه مهجتينا !

أإذا غابَ عن غدٍ . ليتَ شعرى ! مَن سِواه يَشْرِى لنا لُعبتينا ؟

* * *

لو يعود الأُلى مضَوْا من قديمٍ ما جزِعنا لهالكٍ .. أو بَكَيْنَا

فاسْتَعِضْ عن أبيكَ خالَكَ .. خالى ؟ أين خالى مِن والدى اليومَ .. أينا ؟!

* * *

وسَرى النومُ فى الجفونِ .. فأغفتْ   غيرَ أمٍّ أبَى الأَسَى أنْ تنـــاما !
إنَّ هـــذا الحديثَ أيقظَ منها   كلَّ غافٍ .. وحَرَّكَ الآلاما !
وتراءتْ لهـا خواطرُهـا السـو   دُ . فأَمْسَتْ تَرَى الحيـاةَ قَتاما !
تبعثُ الأنّةَ الطويلةَ خرســـا   ءَ .. حِذارًا أن تُوقظَ الأيتاما
منظرٌ يبعثُ الخواطرَ أشـــتا   تًا .. ويُذْكِى فى القلبِ نارًا ضِراما
وكأنَّ السِّراجَ سَاهَمَ فى الْحُزْ   نِ .. فألْقَى إلى الفنـــاءِ الزِّماما !

* * *

أشرقَ العيـدُ فى مطارفِهِ البيـ   ضِ .. يُحيِّى الأنامَ فردًا فَفَرْدا
غـــيرَ أن الأيتامَ لم يُبصروهُ   حَنَقًا منهمُ عليـــهِ وحِقدا
ليس عيدًا .. هذا الذى فرَّحَ الأجـ   فانَ منهمْ وشبَّ فى القلبِ وَقْدا
ومشَوْا فى الطريق ! أىُّ طريقٍ   جَمَعَتْ هكذا .. شقاءً وسَعْدا ؟
فثغورٌ ضـــواحِكٌ . وثغورٌ   أطفأَ اليُتْمُ حُسنَها مُســـتبدّا
هكذا سنّةُ الحيـاةِ .. جُموحٌ   بل جنونٌ تغزُو به الناسَ عمدا !

حيـــاتى !*

أتظلين يا حيـــاتى خُواءً   من حبيبٍ أو صاحبٍ أو رجاءِ ؟
كلَّ يومٍ أرجُو . . وترْجِين مثلى   ويَضيع الرجاءُ طىَّ الهبـاءِ !
كلُّ ما فيك . . أنك الآن قَفْرٌ   عاطِلٌ مِن بشاشةِ الأحياءِ !

* * *

ما غَنـــاءُ الأيامِ مشتبهاتٍ   ليس فيها غيرُ الأسَى والعَناءِ ؟
ما غناءُ الأيامِ إنْ لم تَزِنْهـــا   حُرَّةٌ كالصباحِ . . نجمَ الضياءِ ؟
ما غناءُ الأيامِ إنْ لم يكنْ لى   فى حماها أخٌ من الأوفياءِ ؟
ما غنـاءُ الأيامِ إن لم يُنِرْها   أملٌ مُشْرِقٌ . . كوجهِ ذُكاءِ ؟

* * *

أيها الخاطـــرُ الملحُّ . . أرِحْنى   لا تَهِجْنى وكُنْ بشـــيرَ عزاءِ
قدَّرَ اللهُ . . أنْ تظلَّ حيـــاتى   عبثاً ضائعاً . . لغـــيرِ انتهاءِ !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .

قلب وصاحبه*

أبداً .. كُلَّمــا تخايلَ حُسْنٌ

لفؤادى يَهيجُ بين الضلوعِ

حائرٌ لا يَقرُّ .. كالحدَثِ الشاردِ

تنْـدَى جُفونُه بالدمـوعِ

كلَّما رامَ هَدْأَةً وسُـلُوًّا

عَرَضَ الُحسْنُ .. فارتضى بالخضوعِ

أيها القلبُ .. لا بَرِئْتَ من الُحبِّ

ولا ذُقْتَ فيه طَعْمَ الهجوعِ !

أنتَ أشقيتَنِى وأضوَيْتَ نفسى

أنتَ أسلمتَنِى لِهَمٍّ وَجيعِ !

أنا ، لولاكَ ، لم أكنْ دونَ غيرى

فى حياةٍ تسمُو .. بكلِّ وضيعِ !

---

* ميت غمر : عام ١٩٣٤ .




رثاء



فى الأربعـــين *

نمتَ يا والدى .. وخلَّفتَ جُرْحا كلَّ يومٍ يجدّ للنفس حُزْناً !

كنتُ بالأمس لا أرى الأرض دارًا فتخذْتُ السماء للشعرِ مَغنى

وأنا اليومَ قد هَبطْتُ إلى الأر ضِ .. غريبًا بها كئيبا مُعنَّى !

أنــكِرُ الشعرَ والأنامَ جميعاً وأرى الحسنَ لم يَعُدْ بعدُ حسنا

وخَبَتْ بسمةُ الرضاء بثغرى واستحالتْ مباهجُ العيشِ سجنا

وإذا رُمْتُ سلوةً عنك يومًا بَخِلَ الحزنُ بالسلوِّ وضنّا !

ولقـــد أقطعُ النهارَ .. جزوعاً ضاربًا فى الهموم سَهلاً وحَزنا !

ولقـــد أقطع النهار . صموتا لستُ بالناسِ أو أمانىَّ أعنَى

ولقـد أرسـلُ الدموعَ غِزارًا وأناجِيكَ كلما الليـلُ جَنّا !

وإذا ما رأيتنى . فى انفـرادى خلت شخصاً من وقدةِ الحزنِ جُنّا !

***

ليلةَ الأربعين .. هل عادَ ؟ أم عُدْ تِ بذكراهُ كى أذوبَ وأفنى ؟

لم أجدْ فيكِ .. غيرَ حزنٍ مقيمٍ وعيونٍ من البكاءِ جُرحْنا

ودبارٍ تعطَّلتْ من شـعاعٍ كان أبهَى من الشموس وأسنى !

***

---

* القرية : خريف عام ١٩٣١ .

ليتني أستطيعُ دمعاً .. فأبكي ليتني أستطيبُ للشعر .. معنَى !

جفَّ دمعي ، وجفَّ شِعري جميعاً وتعوَّضتُ عن بشاشةِ الأمس حُزنا

كم تمنى الشفاء حينا .. ولكنْ لم تُنِلْه الأقدارُ ما قد تمنى !

في سبيل الوفاء أن أسهرَ الليـ ـلَ .. وأبكي عليكَ مهما افترقنا

وأودُّ العزاء عنك .. ولكنْ أين عنك العزاء يا عَمُّ .. أينا ؟

وداع شاعر *

« كلما عز على أن أجد فى الرجال براءة الأطفال
وابتسامتهم وسريرتهم ذكرتك » .

على الشاعرِ المبكىِّ من كل صاحبٍ ... يهُمُّ بنفسى الحزنُ من كل جانبِ
لحا الله أنباءً جزِعتُ لوقعها ... فأجرتْ عيونى بالدموعِ السواكبِ
صديقٌ . يُريكَ الودَّ كيف سُمُوُّهُ ... وكيف جميلُ الصفحِ عن كلِ عائبِ!
فقدناهُ فى دنيا يَقلُّ كرامُها ... ويكثُرُ فيها كلُّ نِكسٍ وكاذبِ!

***

أليلاتِنا والشملُ فى جانب الحمى ... جميعٌ وفيضُ الأنسِ ليس بعازبِ
ثَوَيْتُنَّ بعد اليومِ فى مَدرجِ البِلَى ... وعفَّى عليكنَّ الزمانُ بحاصبِ
فوا أسفا للدهر .. فرّق شملَنا ... وروَّعنا فى عيشنا بالنوائبِ
فأبدلنى بالروضِ قفرًا .. وبالحمى ... ديارًا .. يظل الأُنس فيها مُجانبى
ويَفجعنى فى صاحبى .. حين غربتى ... كأنّ كثيرًا أن أقومَ بواجبى !
فيا عينُ هذا موطنُ الدمعِ والأسَى ... فجُودى على تلك الأمانى الغواربِ !

***

* ميت غمر : أبريل ١٩٢٣ . والشاعر هو الصديق المرحوم « أحمد الوشى » .

أخى . وَالإخاءُ المحضُ كان سجيةً — تُحليكَ فى عصرٍ كثيرِ الثعالبِ

أأرثيكَ ؟ يا ويحَ الرثاءِ على امرئٍ — أُصيب بسهمٍ فى الُحشاشة صائبِ

وأىُّ رثاءٍ كانَ . . أو هو كائنٌ — يخففُ ما بى من أسًى فيك غالبِ ؟

وهبنى أطقتُ اليومَ تصويرَ لوعتى — فمَن لى بتصويرِ الحجا والمواهبِ ؟

* * *

لقدعشتَ فى الدنيا . . كأنك راهبٌ — على حين ماجَتْ ساحُها بالعجائبِ !

وتسعى إلى العيشِ الكفافِ قناعةً — وما كنتَ مأخوذًا بزيفِ المطالبِ

وكم رغبةٍ قامتْ لها النفسُ قَوْمةً — فنَهْنَهْتَها عن نيلِ تلك الرغائبِ !

وعشتَ رضِىَّ النفسِ . لطفًا ورقةً — عَزوفًا عن الدنيا حميدَ المناقبِ

ومُتَّ ـ ولم تُعقِب[1] ـ وحيدًا بغرفةٍ — سوى كتبٍ قامتْ كبعضِ النوادبِ !

* * *

فيأيها الثّاوِى . وفى النفسِ ما بها — عليك من الحزنِ الممضِّ المغالبِ

هنيئًا لك الدارُ التى كم رجَوتَها — بلهفةِ مشـــتاقٍ ونيَّةِ راغبِ

هنيئًا لك الأخرى . . فنمْ واسترحْ بها — فيا طالما لاقَيتَ جمَّ المتاعبِ

وأكبرُ ظنى أننى بك لاحقٌ — وشيكًا . . فياشوقى لرقدةِ صاحبِ !

---

(١) لم يتزوج الشاعر ، وقد حضرته الوفاة وهو وحيد فى غرفته بين كتبه !

فهرس

تصـــويب

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصــواب
٤	٩	تلُح	تُلِح
١٠	٣	صِلاتى	صَلاتى
١١	٤	الرماه	الرماة
٢٢	٣	لا تحابى	لا تحابِ
٣٥	٦	وعاية	ورعاية
٧٣	١	تماوْاد	تمادَوْا
٧٧	٨	أبى	أنى
٧٨	٩	ثُغْرُكِ	ثَغْرُكِ
٩٠	٧	يُهدِّئُ	يُهَدِّئُ
٩٠	٨	يملا ، يقدرْنى	يملأ ، يقدرُنى
١٠٠	٥	غَوِيتُ	غَوَيْتُ
١٣٠	٨	جمٍّ	جمٌّ
١٣٥	١٠	رقيق	رفيق
١٤٢	١٣	شجرة	شجر
١٥١	٦	وجِم	وجَم
١٦٨	٢	ن	آن
١٦٩	٩	وللـّهر	وللدّهر
١٧٥	١١	قاسيةً	ناسيةً
١٩٥	١٦	مهاجمة	مهاجما
٢٠٢	٩	كلّ	كلٌّ
٢١٠	٤	الفنّ	الفنُّ
١٢٤	٨	القيصد	القصيد



دار مصر للطباعة